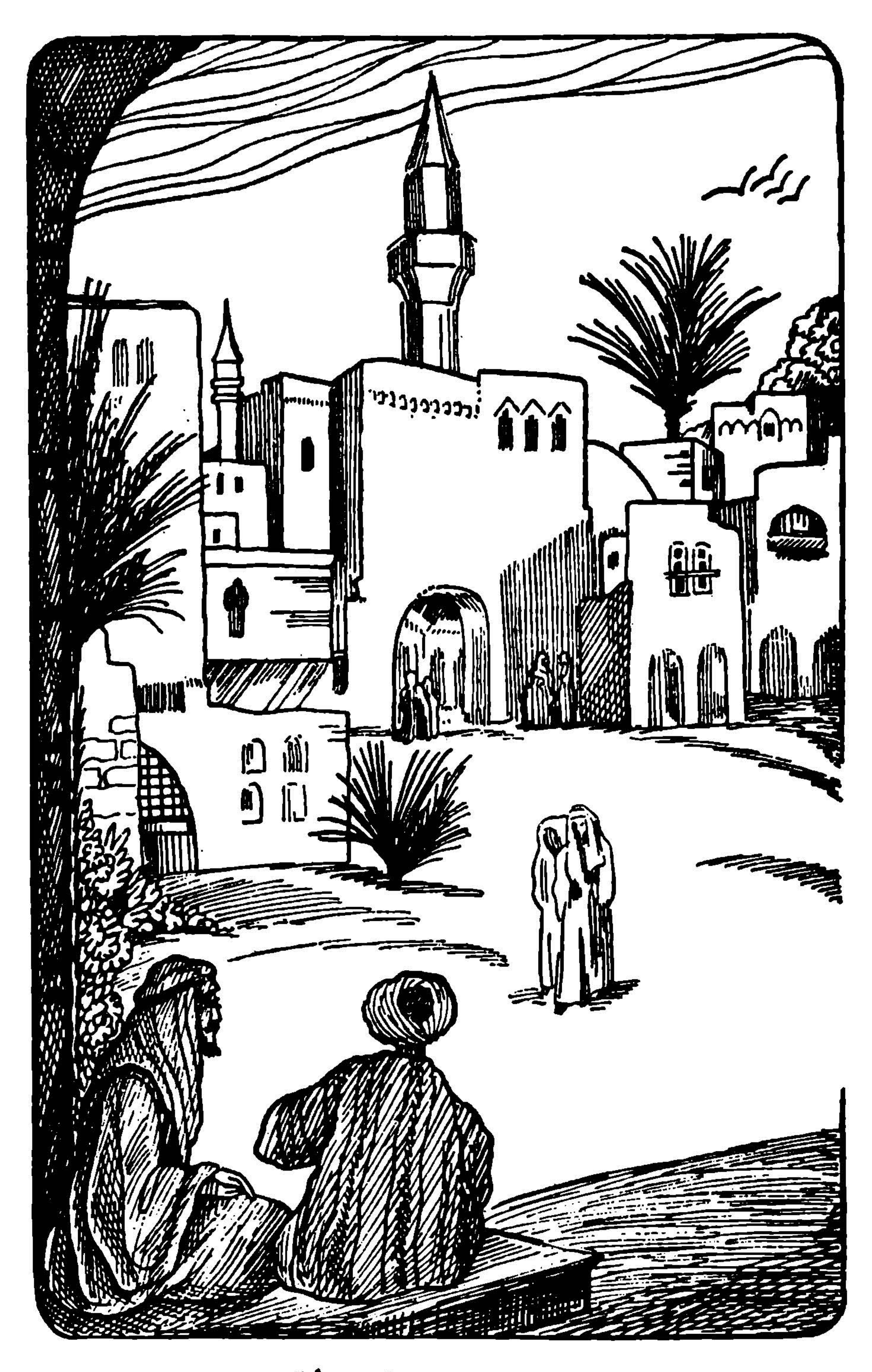
مأساة الدرعيّة



— صورة لمدخل الدرعية ، كما تخيله « أنكيري » —

توطئة

في أواخر ربيع الثاني من سنة ١٢٣٣ هـ . سار إبراهيم باشا بجيوشه ومدافعه ومؤنه إلى « الدرعية » ليخوض المعركة التاريخية الحاسمة بينه وبين جنود الإمام عبد الله بن سعود ، الذين كانوا ينتظرونه على شعاب الدرعية ، وخلال حصونها وأسوارها .

لم تكن القوى متكافئة : فإبراهيم باشا أمدّه أبوه بأعداد كبيرة من الجنود المدربين، وبمؤن لا تنفد،وأموال لا تعدّ ولا تحصى ، وجهّزه بالمدافع والصواريخ وغير ذلك من أدوات الحرب الحديثة ، وكان يتولى التخطيط وتوجيه المعارك في جيشه عدد من الخبراء الأجانب ، لمع من بينهم اسم القائد الافرنسي « فيسيير »، وكانوا كثيرين ، وكثرتهم من الترك الذين انتـــدبهم السلطان العثماني لمساعدة إبراهيم ...

أما جنود الإمام عبد الله فكان ينقصهم السلاح الحديث ، وخصوصاً سلاح « المدفعية » ، الذي يعتبر مادة أساسية في معركة تدور رحاها بين تلال الدرعية ووهادها ولا تعصم فيها الحصون سكانها إن لم تبعد عنها مدافع الغزاة مدافعُ مثلها ترميهم بنيرانها رمياً محكماً موصولاً !

لم يكن عند الإمام عبد الله هذا السلاح الثقيل الرهيب،ولا كان عنده الخبراء الذين يحسنون استعماله، ولم تكن ذخيرته ولا مؤنه كافية ، وإلى ذلك كله : كان

عدد مقاتلته محدوداً ينقص ولا يزيد ، وهكذا .. كانت النتيجة واضحة ..

ولكن الإمام عبد الله لم يستسلم ، وقبل التحدي ، وكانت معركته خاسرة ، ولكنه لم يخسر الشرف ، فقد دافع هو وإخوانه وشعبه عن دينهم ووطنهم دفاعاً بطولياً ، فرووا الأرض من دمائهم ، وقتلوا من أعدائهم عدداً كبيراً ولقنوهم دروساً قاسية فإن كانوا خسروا معركة الدرعية ، فإنهم لم يناموا على الضيم ، ولم يسكتوا عن الهزيمة ، وبقيت الحماسة مضطرمة في نفوسهم ، حتى أذن الله سبحانه بطرد الغزاة الغاصبين وتحرير الأوطان منهم على أيدي رجال نجد الشجعان المؤمنين ، يقودهم بطل من آل سعود ، هو الإمام تركي بن عبد الله .

وصف القوى المتصارعة

قوات إبراهيم باشا :

يقول (ويندر) إن تحديد قوات إبراهيم باشا - عند مجيئه إلى الدرعية - صعب جداً ، لكثرة البدو الذين كان يستخدمهم ، ولكن (سدلر) قدّرهم ، تخميناً ، كما يأتي :

١٩٥٠ فارساً .

٤٣٠٠ جندي من المشاة الأرناؤوط والأتراك .

١٣٠٠ جندي من الأفارقة (المغاربة) .

ولا يدخل في هذا الإحصاء طبعاً البدو وغيرهم من الرجال غير النظاميين .

وكان يصحبه :

٤٠٠ من رجال المدفعية .

٤ « طقوم » من المدفعية الثقيلة .

٥ « طقوم » من المدفعية التركية .

ويقول (أنكيري) إن عشرة آلاف بعير كانت تحمل المؤن والماء ...

ويقول ابن بشر أن ابراهيم باشا ، بمشورة بعض رؤساء نجد ، أشرك معه في حصار الدرعية « غزواً » من كل بلد من بلدان نجد التي استولى عليها .

وصف ابن بشر لجيش ابراهيم :

وصف ابن بشر قوة إبراهيم باشا وتموينه وإمداداته ، فقال :

(كان هذا الباشا في قوة عظيمة من العساكر والأموال وآلات الحروب ، من القبوس والمدافع والقنابر وكثرة السلاح ، وكثرة تتابع القوافل عليه من مصر بالعساكر والجبخان وآلات العساكر من الأمتاع والأزواد وغير ذلك من جميع ما ينوب العساكر ، حتى البصل .. أتى اليه من مصر !

وكانت قبوسه وقنابره أمراً هائلاً من عظم رصاصها وما تفعل في البروج والجدران والبيوت .

وقيل إن رصاصة وزنت أكثر من عشرين وزنة ، وذكر لي أن كروة – أجرة نقل – الرصاصة الواحدة من مصر إلى الدرعية بلغت ثمانية أريل ، وذلك أن البعير لا يحمل منها إلا ستاً ..) .

جيش عبد الله بن سعود :

قدّر إبراهيم باشا جيش عبدالله بن سعود ، أثناء الدفاع عن الدرعية ، بنيف وثلاثة آلاف مقاتل في المتارس الخارجية ، ولم يذكر عدد رجاله المقاتلين في بلدة الدرعية نفسها ، وقال بعض المؤرخين إن عدد مقاتلة عبد الله كان عشرة آلاف أو أزيد ، ولم يذكر ابن بشر عدداً محدوداً واكتفى بالقول إن عبد الله رتب جموع أهل الدرعية ومن جاء اليها من البلدان الأخرى وكانوا عدداً كثيراً .

ويقول إبراهيم باشا إن عبد الله جمع في الدرعية كثيراً من الذخائر والمعدات الحربية وكان لديه عدد من المدافع ، وقد استطاع أن يضرم نار الحماسة الدينية في النفوس ، بحيث جعلها تفضل الموت على الحياة .

صفة الدرعية :

يقول مانجان إن الدرعية تتألف من خمس مدن (أو أحياء مستقلة)متجاورة يحيط بكل واحدة منها سور ، وذكر من أسمائها : (الطريف) و (البجيري) و (الغصيبي) و (السهل) – واسماً آخر محرفاً لم نتبينه – .

ويقول كورانسيز إن الدرعية حيّان : (الطريف) ، ويسكنه آل سعود ، و (البجيري) ، ويسكنه آل الشيخ .

ويبلغ عدد منازل الدرعية ألفين وخمسمائة دار ، مبنية بالحجارة والآجرّ .

وفيها من المساجد نحو خمسين مسجداً ، ومثل هـذا العدد من دور العلم أو المدارس .

ويحيط بالدرعية من كل جوانبها نخيل وقصور، وربما سموا التلال والمرتفعات التي تقع في أطرافها بأسماء خاصة، فقالوا « شعيب » كذا وشعيب كذا .. وهذه المرتفعات التي تقع خارج المدينة هي التي كان أهل الدرعية وحلفاؤهم يقاتلون فيها جنود ابراهيم باشا ليمنعوه من الوصول إلى داخل المدينة ، فموقع الدرعية ، بفضل تلالها ، لا يعدّ سيئاً من الوجهة الحربية ، لأنها بُنيت على مرتفعات وادي حنيفة ، وليست مكشوفة تماماً للعدو ، كبقية البلدان المبنية في السهول .

خطة ابراهيم باشا للاستيلاء على الدرعية :

يقول ابراهيم باشا في رسالة إلى والده إن عبـد الله بن سعود بنى في وادي الدرعية وبساتينها القصور والحصون والبروج ، وشحنها بالمقـاتلين ، وبنى في المدينة نفسها تحصينات قوية وأقام لها سوراً ، يضاف إلى ذلك كله كثرة مؤنه وذخائره وحمـاسة رجاله للدفاع عن دينهم ووطنهم ، ولذلك لا ينجح الهجوم عليهم إن كان هجوماً عـاماً مباشراً ، (فقررنا حصارهم والتضييق عليهم .. وإرهاقهم ، وسنقوم – متى وصلتنا الإمدادات الجديدة وفي الوقت المناسب – بزحف جماعي من كل الجهات ، ونفتح هذه البلدة .. ثم نبيدها ..) .

ومن الثابت أن المستشار (فيسيير) هو الذي وضع خطة الحصار والهجوم على الدرعية .

خطة عبد الله بن سعود في الدفاع عن الدرعية :

كان عبد الله بن سعود يعتقـد أن المعركة الحاسمة بينه وبين ابراهيم باشا ستكون في الدرعية ، ولذلك أخذ في تحصينها وشحنها بالمؤن والذخائر ، ولم تكن مساعدته للبلدان التي تقع في طريق ابراهيم إلى الدرعية ، إلا لمجرد تأخيره

ريثما يستكمل أسباب الدفاع عن الدرعية، فهل كان عبدالله مصيباً في هذا الرأي؟

إن الخبراء الحربيين في الغرب ، ومنهم الجنرال (فيغان) القائد الفرنسي الكبير ، الذي ألّف كتاباً عن حروب محمد علي وأولاده ، يقولون إن عبد الله أخطأ كثيراً في صرف قواه إلى الدفاع عن الدرعية ، وإنه كان يجب عليه ، نظراً إلى تفوق ابراهيم باشا بالمدافع ونحوها ، أن ينسحب أمامه ، ثم يهاجمه كلما سنحت له الفرصة هجوماً خاطفاً،حتى إذا جاءت الظروف الملائمة ضربَه ضربة قاصمة واستعاد البلدان التي فقدها أو جلا عنها .

والواقع ان هذا التفكير ليس جديداً،فقد ذكر الشيخ (عبدالرحمن بن حسن) في (المقامات) إن الشيخ (مبارك الظاهري) أشار على عبد الله بن سعود (أن يجيء بثلاثة آلاف من الإبل (عند ابن جلهم) ويجعل عليها الأشدّة ويحمل عليها ما كان له ولا يدع في الدرعية له طارفة ، ويصعد مع عربان قحطان ونحوهم ، وكل من له مروءة من بدوي أو حضري راح معه ، كذلك الذي يخاف — [فلو ساعد القدر لم يظفر به عدوه،وتبرأ منهم من أعانهم بالرحيل من مطير وغيرهم، ولله فيما جرى حكم قد ظهر بعضها لمن تدبّر وفكّر . وهذا الرأي أسلم له] — والذي يريد القعود يقعد ، ويكون ظهره على السعة .

ويذكر له انك يا عبد الله إذا صرت كذلك صار لك في العسكر مكائد ، منها قطع سابلة ما بينه وبين المدينة .

وهذا الرأي سديد ، ولكن لم يرد الله قبوله ، لأن الأقدار غالبة ، ولو قدّر كان) .

وصف ابن بشر لتحصينات الدرعية

وصف ابن بشر تراتيب الدفاع عن الدرعية فقال :

(كان عبد الله قد رتب جموع أهل الدرعية ، ومن كان عنده من الآفاق – وذلك ان أهل نجد لما أطاعوا للترك ، هرب من كل بلد وناحية شرذمة من أهلها وقصدوا الدرعية فكان فيها من أهل الآفاق عدد كثير – فرتبهم عبد الله في بطن الوادي ، ويمنته ويسرته خارج النخيل والسور .

أولاً :

أ – في بطن الوادي ، تجاه الباشا وعساكره والقبوس والقنابر :

فيصل بن سعود ، وأخوه إبراهيم وأخوه فهد ، ومعهم رجال من أهل الدرعية وغيرهم ، وعندهم ثلاثة مدافع .

ب – وعلى ميمنتهم في الجانب الشمالي ، فوق تلك الجبال :

سعد بن سعود وأخوه تركي بن سعود ، في شاطىء الشعيب المعروف بالمغيصبي ومعهما رجال من أهل الدرعية وغيرهم .

ج – ويليهما :

عبد الله بن مزروع ، صاحب منفوحة ، ومعه رجال من أهل منفوحة ، وغيرهم .

د – بين المسلمين والترك :

وتقدم تركي بن عبد الله الهزاني صاحب حريق نعام ومعه رجال من أهل

الحريق وغيرهم وصاروا بين المسلمين والترك .

وعلى ذلك الجانب أيضاً عـــدة أبطال من رؤساء المسلمين من آل دغيثر وغيرهم ، كل رجل معه عدة رجال في موضع معروف لا يفارقه ، إلى باب سمحان المعروف .

ثانياً :

عند باب سمحان ، داخل السور :

نزل عبد الله بن سعود ، ومعه آل الشيخ ، ورجال من أعيان المسلمين ، وعنده مدافع كبار .

ثالثاً :

وفي قرى عمران ، عنـد النخل المسمى (بالرفيعة) : فهد بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، ومعه رجـــال من أهل الدرعية وأهل سدير ، رئيسهم عبد الله ابن القاضي أحمد بن راشد العويني ، وعندهم مدافع .

وراء المتارس : البروج وفيها الشيوخ ..

وكل أهل مترس وموضع ، ممن ذكرته ، مقابله مثله من عساكر الترك .

ومن وراء أهل هذه المتارس والمواضع ، في تلك الجهة إلى أسفل الدرعية : كل برج فيه رجال من رؤساء أهلهـا وأشياخهم وثقالهم الذين ليس لهم شدة في الحرب والصدور والورود. وعند كل أناس من هؤلاء مدفع، وليس عليهم حرب، بل حفاظ لتلك الناحية .

وفي أسفل الدرعية في بطن الوادي ، قرب الجبل المعروف بالقرين — بضمّ القاف وفتح الراء المهملة — سعود بن عبد الله بن عبد العزيز ومعه رجـــال من أهل النواحي ، وليس عند هؤلاء أيضاً حرب .

متارس أهل الدرعية في الجهة الجنوبية :

ثم ذكر ابن بشر (متارس أهل الدرعية ومواقفهم في الجهة الجنوبية قبـــلة البلد) فقال :

إلى جانب فيصل بن سعود وإخوانه ، الذين في بطن الوادي :

أ – **عند النخل المعروف بسمحه** : عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، في البرج الذي فوق الجبل ، ومعه رجـــال من أهل الدرعية وأهل النواحي من أهل الوشم وغيرهم .

ب – **ويليه ، على شاطىء شعيب الحريقة** : عمر بن سعود بن عبد العزيز ، ومعه رجال من أهل الدرعية وغيرهم .

وإلى جانبه أخوه حسن بن سعود ، ومعه رجال من أهل الدرعية وغيرهم.

ويليه ، في تلك الناحية : تركي بن عبد الله بن محمـد بن سعود وأخوه زيد ، ومعهما جمع من أهل الدرعية .

وإلى جانبهم مملوك سعود « فرج الحربي » ، ومعه جمع من المماليك وغيرهم.

ج – **وفي فرع شعيب غبيراء** : فهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود ، ومعهما جمع من أهل الدرعية وغيرهم ، وكل جمع من هؤلاء قباله أكثر منه من عساكر الترك وشدة حرب تلك الناحية عليهم.

د – **في مسجد العبد وشاطىء شعيب صفا** : ومن ورائهم في هـذه الناحية أيضاً ، مشاري بن سعود بن عبد العزيز ومعه جمع من أهل الدرعية وغيرهم في مسجد العيد المعروف في رأس الجبل عند المنازل الجنوبية .

وفي شاطىء شعيب صفا : سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود ومعه جمع من أهل الدرعية وغيرهم ، وليس عند هؤلاء شدة حرب بل حفاظ تلك الناحية .

خطوات ابراهيم باشا من ضرمى الى الدرعية :

يقول ابن بشر ان الباشا بعـد نهبه ضرمى وإخلائها من سكانها ، سار الى الدرعية ، فكان مسيره مع الحيسية ، ثم إلى وادي حنيفة من عند بلد العيينة وبلد الجبيلة ، ثم سار في الوادي حتى نزل الملقى – نخل عبد الله بن عبد العزيز ابن محمد بن سعود، المعروف في الوادي أعلى الدرعية بينه وبينها مسيرة ساعة –

فلما استقر الباشا وعساكره فيه ، ركب بخيله وقرابته معه وبعض قبوسه ليرتاد الموضع الذي يريد نزوله عند البلد، فسار القرابة والقبوس مع بطن الوادي وصارت الخيل على جانبيه يميناً وشمالاً حتى وصلوا « العلب » – نخل فيصل بن

سعود، المعروف،قرب النخيل أعلى الدرعية — فنزل القرابة فيه بالقبوس ووقفت الخيل في مواضعها على جنبتي الوادي ، فرموا بقبوسهم ، ووقع بينهم وبين أهل الدرعية قتال شديد . ثم رجعوا من حيث جاؤوا إلى مخيمهم وأقاموا فيه نحو يومين أو ثلاثة ، فلما كان الغد ، يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأول رحل الباشا من الملقي بأثقاله وعساكره وقبوسه ومدافعه وقنبره وعده وعدده وسار مع الوادي إلى الدرعية ونزل هو بنفسه وقبوسه ومدافعه في (العلب) المذكور ، ومعه عدد كثير من العساكر عنده في بطن الوادي ، وباقي عساكره فرّقها يمنة الوادي ويسرته في تلك الجبال تجاه جموع أهل الدرعية) .

ويقول إبراهيم باشا في رسالة إلى والده إنه وصل إلى مشارف الدرعية في غرة جمادى الأولى ونصب خيـــامه في مسافة ساعة ونصف ساعة من الدرعية — ولعله يعني الملقي — ثم تحرك من المحل المذكور في اليوم الرابع من الشهر المذكور ، وفي أثناء وصوله إلى موضع — لعله يعني العلب — مقابل لمتاريس عبد الله بن سعود الواقعة على مسافة نصف ساعة من الدرعية ، وشروعه في حفر المتاريس ابتدره رجال عبد الله بن سعود بإطلاق مدافعهم الثمانية أو العشرة بدون توقف أو انقطاع ، ومع ذلك مضى العساكر في إقامة المتاريس وتقوية (طوابي) المدافع على الصورة المرضية ، قبل البدء بالقتال ، لأن عبدالله وزّع أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل على الجبال (وأطراف مضيق الدرعية وفي داخل البساتين المختلفة ، وبقية أعوانه في داخل الأسوار والأبراج ، وقوّى متاريسه تقوية جدية بحيث لا تنفذ فيها القذائف والمرميات) .

بدء القتـــــال :

ويضيف إبراهيم باشا إلى ذلك قوله : (فبعد إقامتنا خمسة أيام على هــذه الحالة ، وتقوية متاريسنا وطوابي مدافعنا، هجمنا على متاريس النجديين الواقعة في جهة الشمال وأخذناها منهم ، واضطررناهم إلى الفرار نحو متاريسهم الثانية .

ومع استمرارنا في القتــال ، في المحل الذي انتزعناه منهم ، مقدار ساعتين ،

أنشأنا هناك متاريس وطوابي للمدافع ومكثنا في موضعنا بضعة أيام ، ثم هجم فرسانا من جهة ، وعساكر المشاة من جهة أخرى ، على النجديين المتحصنين في جهة الجبل اليمنى ، وأخرجناهم من متاريسهم ..

وقد قتل وأعدم منهم مقدار مائة وخمسين ، وجرح ما فوق المائتين .

والتجأت بقية السيوف إلى المتاريس التي وراءها ، القريبة من القلعة ..

وقد نزل جنودنا في المحل الذي استولوا عليه وجرت أعمال إقامة الطوابي المتينة للمدافع وما يلزم واستغرق ذلك أياماً ..

ثم رمينا أحد أبراج القلعة فهدمناه وهدمنا كذلك قسماً من الأسوار ، وأمرت « بهرام » بالهجوم على الأبراج ، وإنه ليفعل إذ خرج النجديون من متاريسهم التي تقع إلى شمالنا وهاجمونا ولكننا دحرناهم، وبعدما شهدت انهزامهم وتفرقهم أخرجت جميع خدّامكم الفرسان والمشاة من متاريسنا الكائنة في الشمال وفي اليمين وفي مضيق الدرعية وهجمنا على متاريسهم وطابية مدافعهم ، في داخل الأسوار والبروج التي انهزموا عنها واستولينا على المحلات الواقعة في مسافة مرمى مدفع من بلدهم ، وغنمنا أربعة من مدافع الصفر « النحاس الاصفر » التي كانوا أخذوها في السنوات السابقة ، و « أبدنا » أربعمائة نفر من النجديين ..

.. وإن عدد النجديين الذين قتلوا وفرّوا في هذه الحروب يبلغ ألفين ..

.. وسأرسل أحد خدامكم إلى أعتابكم قريباً ببشارة فتح الدرعية ..) .

أمل لم يتحقق :

وصلت هذه الرسالة إلى محمد علي في أواخر جمادى الاولى ، ومعنى ذلك أن ابراهيم باشا كان استولى على متاريس أهل الدرعية في شمال الوادي ويمينه وعلى البروج القائمة فيهاتين الجهتين خلال الأسابيع الثلاثة الاولى من شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ هـ . ، وكان يظن أن سقوط الدرعية لن يطول بعد سقوط هذه المتاريس والبروج ، ولكن أمله في نصر سريع تبدّد لشدة مقاومة أهل الدرعية ودفاعهم البطولي عن بلدتهم ..

رواية ابن بشر :

يسمي لنـا ابن بشر المواقع التي جرت في المتاريس ولكنه لا يذكر التواريخ إلا قليلاً ..

وهذا ملخص أقواله :

١ – في اليوم العـاشر من وصول ابراهيم باشا إلى الدرعية جرت وقعـة « المغصيبي » ، الشعيب المعروف خارج البلد ، شمالي الوادي .

٢ – ثم وقعة « الحريقة » .. جنوب الوادي.

٣ – ثم وقعة « غبيراء » .. في أقاصي المتاريس الجنوبية . وقتـل من أهل الدرعية مائة رجل ..

وهرب من الدرعية رجال من أهل النواحي ،

وثبت أهل الدرعية ، وقتل في هذه المعركة فهد بن تركي ، ومحمـد بن حسن ابن مشاري بن سعود ، وحسين الهزاني وغيرهم ..

٤ – ثم كانت وقعة « سمحة النخل » ، أعلى الدرعية جنوب الوادي ..

وانهزم أهل الدرعية عن متارسهم ..

والسبب أن جماعة من أهل نجـد ورؤساء البوادي « **الذين نبتت لحومهم وجلودهم هم وأبناؤهم على جزيل عطايا آل سعود وفضائلهم ولم ينالوا الرئاسة إلا بسببهم » ذهبوا الى الباشا واطلعوه على مواطن الضعف في الدرعية .**

٥ – ثم حمل ابراهيم باشا على البروج الكبار يمنة الوادي ويسرته ، فهـدم أكثرها .. ونزلها الترك .

٦ – ثم حمل البـاشا على فيصل وإخوانه في « سمحة » ، وحملت الدالاتية والمغاربة على من في جهتهم من المتارس الشمالية ، فانهزم أهل الدرعية واتصلت الهزيمة في المتارس الشمالية والجنوبية ، وتركوا أكثر المدافع والأثقـال وحصل مقتلة عظيمة بين الترك وأهل الدرعية .

وربما كان مقتل الأمير فيصل بن سعود في هـذا الوقت ، برصاصة طائشة أصابته [1] .

٧ – وعند (السماني)، النخل المعروف على شفير الوادي، لإبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تراجع وتوقف جنود إبراهيم باشا، **إذ وقف فيصل وأخوه سعد وكثير من الأعيان والشجعان « فجالدوا الروم جلاد صدق ، حتى ردوهم على أعقابهم** ، وقتلوا منهم عدة قتلى » .

٨ – **ثم جرت وقعة (البليدة)**، الشعيب المعروف في الجهة الجنوبية، وقتل فيه من أهل الدرعية عدة قتلى وقتل من الترك مقتلة. وجرت بعد ذلك معركة أخرى عند البليدة **قتل فيها كثير من الترك واضطرهم أهل الدرعية الى الخروج من محاجيهم .**

٩ – ثم جرت وقعة عظيمة في شعيب (قليقل) في الجهة الشمالية ، وأخيراً « جلس الترك وترّسوا قبالة متارس أهل الدرعية » .

تحديد تواريخ المعارك السابقة :

قلنا إن ابن بشر لم يحدّد لنا تواريخ المعارك التي سمّى لنا أسماءها ومواقعها، ويمكننا الآن ، بفضل رسائل إبراهيم باشا إلى أبيه أن نقول إن هـذه المعارك استمرت ثلاثة أشهر ، من أوائل جمادى الأولى إلى منتصف شعبان .

الاستيلاء على عرقة :

يقول إبراهيم باشا إنه خرج بقسم من عساكره في منتصف شعبان للإستيلاء على قرية (عرقة) ، ويسميها هو بلفظه الأعجمي (أرجه) – ولعله كان ينطقها بالجيم المصرية – .

وقد استولى الباشا على عرقة ، كما يقول للإستفادة من محاصيلها ، (نظراً إلى

---

(١) يقول ابن بشر إن الرصاصة أصابت فيصلا وهو يمشي من موضع إلى موضع ، وكان قتله في جمادى الآخرة من غير قتال ، وفي موضع لا تبلغه رمية البندقة ، ولكن البندق التي رمي بها كان طولها تسعة أشبار ورصاصها احد عشر درهماً ، وجلس مكانه أخوه تركي .

قلة الموجود من النقود لديه ، واضطراره إلى البحث عن كل وسيلة لتأمين الترفيه عن العساكر) ..

ويقول ابن بشر إن الباشا كان أرسل خيلاً إلى عرقة فقتلوا ثلاثين من أهلها واستولوا عليها ثم استردها منهم عبد الله وقت نضوج الثمر وأوكل بحفظها مائة من رجاله ، ولذلك سار اليها الباشا بنفسه « وحاصر من فيها وضربهم بالقبس وأخرجهم بالأمان على دمائهم وسلاحهم » .

هجوم عبد الله على متاريس ابراهيم :

ويقول إبراهيم باشا إن عبد الله بن سعود لما سمع بسير إبراهيم إلى عرقة أحب انتهاز هذه الفرصة ، فأمر رجاله بالخروج من وراء السور والهجوم على العساكر في متاريسهم ، ولكن اسماعيل آغا ، وكيل إبراهيم باشا أثناء غيابه ، قاوم هجوم أهل الدرعية واستطاع بفرسانه ومشاته أن يرغمهم على التراجع إلى داخل سور الدرعية .

وقتل من العسكر خلال المعارك رئيس حجاب الدخان ورئيس حجاب القهوة ورئيس الذخيرة ، وجرح بعض الضباط الكبار و«استشهد» بهرام آغا ، أحد القواد الذين كان محمد علي يعتز بهم .

حصار بلدة الدرعية :

يمكن القول إن المعارك التي جرت في المتاريس القائمة على مسافة كبيرة من مدينة الدرعية نفسها قد انتهت باستيلاء العساكر المصرية عليها ، وبذلك انتهى القسم الأول من معارك الدرعية .

أما القسم الثاني فقد بدأ حين انتقل العساكر من متاريسهم الأولى إلى قرى قصير – التي يسميها الأهالي اليوم قرى الروم ، لنزول العساكر التركية فيها ، وحول اسوار الدرعية ومحاجيها – وكان النجديون يسمون الترك : الروم !

حريق الجبخانة :

يقول ابن بشر : (.. في أثناء هذه الحرب اشتعلت النار في زهبة الباشا وما في خزانته من البارود والرصاص وجميع الجبخان .

وكان ثورتها أمراً هائلاً لا يكاد يوصف ، وسمع صوتها مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة وأهلكت خيلاً ورجالاً وأحرقت خياماً وأزواداً وأثاثاً ،وهربت العساكر في رؤوس الجبال ، ووقع في قلوبهم الرعب .

وكانت هذه وهناً عظيماً على الترك ، وهمّ أهل الدرعية أن يحملوا عليهم في مخيمهم ويدهموهم فيه فلم يفعلوا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فتراجع الترك وثبتوا .

ثم أرسل الباشا إلى جميع نواحي نجد وأخذ من كل بلد ما فيها من خزانة الجبخان ، وتتابع عليه بعد ذلك الجبخان والعساكر من مصر .) .

لم يحدّد لنا ابن بشر متى وقع هذا الحريق ، ويقول ابراهيم باشا إنه وقع في ١٨ شعبان ، ويصفه ، في رسالة إلى أبيه ، بقوله :

(وقعت شرارة من النار على مستودعات ذخيرتنا وأدواتنا السفرية وكل ما هو موجود لدينا من الأشياء فاشتعلت وتلفت جميعها ، فكانت خسارتنا بذلك فادحة جداً ،وقد قتل مأمورو المستودعات ووسائل النقل وبعض الأفراد وبعض المرضى ..

وكان من شأن هذه الكارثة أن تسر النجديين وتغريهم بالانتقام منا والتشفي ..
ولذلك أسرعنا الى « عرض » الجنود الذين كانوا محتفظين بسلاحهم وذخيرتهم ونبّهناهم ، خيالة ومشاة ، الى اليقظة والحذر والسهر لمواجهة كل احتمال .

وأرسلنا الجمال والهجانة الى عنيزة والمدينة المنورة لنقل ما يوجد فيهما من الذخائر واللوازم وإحضارها بسرعة .

ولكن الكميات التي سنحصل عليها لن تكون كافية ، فألتمس منكم أن ترسلوا الينا بسرعة فائقة نقوداً ومؤناً وأسلحة ومعدّات ومقاتلين وسائر الإمدادات اللازمة ، وهذه المرة يجب ان تكون الكميات كبيرة جداً وتصل دفعة واحدة ، لأننا مقبلون على الزحف الكبير .. الخ) .

ويقول الرافعي ، في وصف هذا الحريق :

(زاد في حرج ابراهيم باشا أن الطبيعة أصابت الجيش بنكبة كادت تودي

به ، لولا ثبات ابراهيم وعزيمته الحديدية ، فقد هبّت عاصفة على معسكر الجيش في ٢١ يونيو ١٨١٨ م . أطارت ناراً كان أحد الجنود يوقدها ، فاندلعت النيران الى خيمة منصوبة على قرب مستودع الذخيرة فاحترقت الخيمة وامتدّت نارها الى المستودع فانفجر لساعته ونسف الانفجار من القنابل والرصاص ما ذهب بنصف ذخيرة الجيش ، فذعر الجنود لدويّ الانفجار ولما أصاب الذخيرة من التدمير .

ومما يؤثر عن ابراهيم باشا انه قال لمن حوله :

(لقد فقدنا كل شيء،ولم يبقَ لدينا إلا شجاعتنا، فلنتذرع بها ولنهاجم العدو بالسلاح الأبيض) .

وأخذ يشجع الضباط والجنود، وأرسل يطلب الذخيرة من المواقع التي يحتلها الجيش المصري كالشقرا وبريدة وعنيزة ومكة والمدينة وينبع .) .

ويزعم الرافعي ، بعد ذلك ، إن النجديين لما علموا بحريق الجبخانة قاموا بهجوم على المواقع المصرية فرُدُّوا على أعقابهم ، وذلك غير صحيح ، ولو أنهم فعلوه لكانوا أصابوا توفيقاً ، والله أعلم .

وأما الجبرتي فتوهم أن النجديين هم الذين أحرقوا « الجبخانة » ..

استعدادات وإمدادات للهجوم على الدرعية :

تتابعت على إبراهيم باشا – بعد حريق الجبخانة – الإمدادات من مصر والحجاز ونجد والعراق ، قال ابن بشر : (تتابع عليه .. الجبخان والعساكر من مصر ، وأتت اليه الرحل والقوافل من البصرة والزبير مع أهل نجد الذين فيها ممن كان أجلاهم آل سعود عن نجد وأخذوا أموالهم فتابعوا عليه القوافل من الأرز والحنطة والتنباك وجميع حاجات العساكر ، وسار اليه القوافل أيضاً من نواحي نجد بجميع ما ينوب العسكر ، فثبت في موضعه وتعاظم أمره وتزايد بالحرب على الدرعية فحاربها حرباً عظيماً ، وهم ثابتون .. وبذل الباشا الأمان لمن خرج منها ..) .

ويقول الجبرتي ان الباشا، محمد علي،كان متكدر الخاطر بعد حريق الجبخانة

وانقضى شهر الصوم والباشا متقلق منتظر ورود خبر من الدرعية يَسُرّ بسماعه ، وقد قوّى اهتمامه بإرسال الإمدادات إلى ابنه إبراهيم ، وأرسل حملات ثلاثاً من العسكر يتلو بعضها بعضاً براً وبحراً إلى الحجاز فنجد .

ويقول الرافعي إن محمد علي أخبر ابنه ابراهيم أنه سيرسل اليه (خليل باشا) على رأس جيش جديد لمساعدته في فتح الدرعية .

ويبدو أن هذا الخبر لم يسرّ إبراهيم باشا لأنه لا يريد أن يشركه قائد آخر في شرف هذا الفتح ولذلك قرر الاستعجال في شن الهجوم العام على الدرعية ، مؤملاً فتحها قبل وصول خليل باشا الى نجد .

الهجوم العام على الدرعية :

يشير ابن بشر الى المعارك التي كانت تدور بين العساكر المصرية والمدافعين عن الدرعية فيقول انها وقعات عديدة لا يحيطها العلم وإنه سأل عنهـــا رجالاً حضروها وشهدوها فكان كل واحد يرويها على نحو يختلف عن رواية الآخر ، ولذلك أعرض عن ذكر الوقعات إلا اليسير منها ، واكتفى بالقول إن الحرب الهائل الذي ثار بين العساكر المصرية ورجال الدرعية حرب (لم ينقل مثله عن الأواخر والأوائل ، وصار في كل يوم ووقت قتـــال ، واستمر دائباً بالغدو والآصال ، وتضاربوا من المحاجي بالبنادق والسيوف والقرابين ، وتطايرت القبوس والقنابر في الجو كأنها رجوم الشياطين ، فهذا منها في الأرض ثائر ، وهذا تراه في الجو طائر ، **فصبر أهل الدرعية ونزل عليهم الثبات ، وقاتلوا الترك حتى ملأوا فجاجها بالأموات**، فمرة يحملون على الترك في محاجيهم ومرة يحمل الترك عليهم ... ونار الحرب مشتعلة دائمة في أواسط المحاجي وجنوبها وشمالها وفي كثير من جهات البلد .. **وفي كل وقعة بينهم والغلبة فيها لأهل الدرعية على الترك الا قليلاً ، ولكن الترك اذا مات منهم ألف أتى ألفان .**

— فالعساكر تتابعت من مصر الى الدرعية ، وفي كل أسبوع يأتي من مصر عسكر ورحلة وقافلة من الطعام والأمتاع وما ينوب تلك العساكر — ولما طال الحصار وكثرت الأمداد من مصر للترك ، وأهل الدرعية كل يوم ينقصون ..) .

وكلمة ابن بشر الأخيرة هي التفسير المعقول لما سيحل برجال الدرعية ،فهم محصورون لا يمدهم أحد وما عندهم من مقاتلة وسلاح وذخيرة يتناقص ، بينما المصريون تأتيهم الإمدادات تباعاً فيزدادون بها ..

ويقول ابن بشر ان الذي فتّ في عضد أهل الدرعيـــة آخر الأمر خروج (غـَصّاب العتيبي) من الدرعية ، وكان رئيس الخيالة ومن رجال آل سعود الذين يظن بهم الصدق ، وقد خرج الى ابراهيم باشا واستسلم اليه ، وأصاب أهل الدرعية « كآبة وحزن ووهن من خروجه ، وقوى عزم الباشا على الحرب » .

الهجوم العام على الدرعية كما يصفه ابراهيم باشا :

يقول ابراهيم باشا في رسالة الى والده إنه أعدّ خطة الهجوم العـــام سراً ونفذها في اليوم الخامس من شهر ذي القعدة ، فأمر بالهجوم العام فجأة في ساعة متأخرة من الليل قبل الفجر بساعتين (وبفضل تعاون أفراد الجيش وشجاعتهم وحسن اجتهاد القادة والرؤساء تمّ الاستيلاء على كافة المتاريس والتحصينات التي كان يدافع عنها النجديون، باستثناء موضع كان يدافع عنه ابن عبدالله بن سعود : « سعد » ومعه خمسمائة من النجديين الذين استماتوا في القتال ، وبعض التحصينات في الجناح الشمالي .

وفي اليوم التالي استولى العسكر بهجوم صاعق قبل الفجر على هذه التحصينات التي كانت مستمرة في المقاومة ، ثم استولوا على جميع تحصينات القلعة ومتاريسها وغنموا خمساً وعشرين قطعة من مدافع « الطوج » ذوات الدواليب العالية وعلى مدافع اخرى ، وبالجملة تمّ الاستيلاء على جميع مواقع الدرعية المحصنة ، ما عدا المكان الذي لجأ اليه عبد الله بن سعود ، وسيقضى على هـــذا الموضع بين ساعة وأخرى ، اليوم او غداً ..)

رواية ابن بشر :

يقول ابن بشر إن عساكر ابراهيم باشا حملوا ، صبيحة السبت الثـالث من ذي القعـدة ، على محاجي أهل الدرعية كلها ، الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية ، وهزموهم منها .

وقـــد اتبع ابراهيم باشا خطة بارعة في تنظيم هجومه ، إذ أرسل مدفعاً وعسكراً الى أسفل الدرعية فشغل النـاس بالحرب هناك ، واشتغل هو بحرب الجهة الشمالية ، ليستدرج اليه مقـاتلة الجنوب ، وفي نفس الوقت أرسل عسكراً الى أحد قواده في الجهة الجنوبية ، المدعو « علي أزن » ، فدخل « أزن » محجى عبد الرحمن بن سعود فوجدوه خالياً (وهو من خلف محاجي أهل الدرعية من جهة البلد ، فنقبوا جداره الذي على شفير الوادي وترسوا به .

ثم ثار الحرب العظيم من الترك على كل من كان في جهته من أهـــل المحاجي الجنوبية والشمالية ، فلما اشتغل بعضهم ببعض واشتعلت نار الحرب في السماء وفي الأرض ، لم يفجأ أهل الدرعية إلا والترك قد أتوهم من خلفهم، من جهة مشيرفة – زاحفين من محجى عبدالرحمن المهجور – وحمل عليهم الترك أيضاً من وجههم، فانهزموا عن محاجيهم وحمي الوطيس وصار قتـال شديد ، قتل بين الفئتين قتلى كثيرة ، منهم ابراهيم بن سعود ، وتفرق أهل الدرعيـة في بلدهم كل أهل منزلة قصدوا منزلتهم وترسوا في سورها ودورها .

.. وتفرقت العساكر على أهل الدرعية في منازلهم ودخلوا شيئاً منها ..)

وانتقل سعد بن عبد الله بن سعود الى قصر (غصيبة) ومعه عدة رجال من الأعيان واحتصروا فيه ، بينما انتقل عبد الله بن سعود ومن معه من الأعيان من سمحان إلى منزل عبد الله في الطريف .

معركة السهل البطولية والمصالحة :

ويصف ابن بشر مقاومة أهل السهل والبجيرى البطولية ، فيقول: (وتفرقت عساكر الترك على أهل السهل وأمسكوا فيه بيوتاً ونخيـلا وكادوا ان يأخذوه عنوة ، وجال أهله جولة عظيمة واشتدّت وطأة الترك عليهم فحماهم الله تعـالى وكفّ أيدي الترك عنهم ، فهمّوا بالمصالحة فردّ بعضهم على بعض أن المصالحة لا تكون إلا بإخراج تلك العساكر عن البيوت والنخيل وقتل ما أمكن منهم..

الشيخ عبد الله يحارب بسيفه :

فشهر سيفه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتدب ، واجتمع

عليه أهل البجيري – حي آل الشيخ – ونهضوا على الترك من كل جانب كأنهم الأسود ، وقاتلوا قتالاً يشيب منه المولود، فأظلمت البجيرة كأنها الليل، وصريخ السيوف كأنه صهيل الخيل ، فأخرجوهم منها صاغرين ، وقتلوا من الترك عدة مئات ، حتى قال لي بعض من حضر ذلك : لو حلفت بالطلاق اني – من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني – لم أطأ إلا على رجل مقتول لم أحنث .

فدخل الفشل والوجل نفوس الترك بعد هذا ، ثم أرسلوا إلى الباشا وطلبوا الصلح فأجابهم اليه بعد ما كان آبياً .. فخرج اليه من الأعيان عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، والشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومحمد ابن مشاري بن معمر،فأرادوا منه أن يصالحهم على البلد كلها، فأبى أن يصالحهم إلا على أهل السهل ، أو يحضر عبد الله بن سعود ...

فانفصل الصلح بينهم على أهل السهل ، على دمائهم وأموالهم وما احتوت عليه بلدهم ، وذلك يوم الأربعاء ٧ ذي القعدة ، فدخل الترك السهل لمحاربة عبد الله) .

وخلال ذلك هاجمت العساكر قصر الغصيبة الذي احتصر فيه سعد بن عبدالله فاستسلم حماته وصالحوا إبراهيم باشا (وقت مصالحة أهل السهل) .

محاصرة عبد الله واستسلامه :

يقول ابن بشر ان ابراهيم باشا رمى(من رأس جبل باب سمحان)الطريف حيث يقيم عبد الله بن سعود ، بالقنابر والقبوس والمدافع واستدار الترك عليه من كل جهاته .. (فثلمت مقاصير السعود بالقبوس وخرقت،واستشرفت نفوس العساكر لأخذها عنوة وطمعت ..) ، ولكن عبد الله أخرج (المدافع التي في القصر وجعلها في مسجد الطريف ورماهم بها وانحاز اليه رجال كثير من أهل البجيري وأهل النواحي فوقع هذا الحرب نحو يومين ..

ثم تفرق عن عبد الله أكثر من كان عنده ، وبذل لهم الدراهم فأخذوها وهربوا ..

فلما رأى عبد الله ذلك بذل نفسه للترك وفدى بها عن النساء والولدان

والأموال ، فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة ، فأمره أن يخرج اليه ، فخرج اليه وتصالحا على أن يركب إلى السلطان فيحسن اليه أو يسيء ، وانعقد الصلح على ذلك ، ودخل عبد الله منزله ، وأطاعت البلد كلها ، وهرب رجال من الأعيان ..) .

سفر عبد الله .. ومقتله :

(.. ولما كان بعد المصالحة بيومين أمر الباشا على عبد الله بن سعود أن يتجهز الى السلطان ، ثم أمر على رسوان آغا ومن معه من العساكر ، وعلى الدويدار ومن معه من العساكر أن يتجهزوا للسير مع عبد الله، فرحل عبد الله من الدرعية ، وليس معه من قومه إلا ثلاثة رجال أو أربعة ، وسار مع تلك العساكر وقصد مصر ،ثم سار من مصر الى الترك،وقتل هناك، رحمه الله تعالى).

نقص رواية ابن بشر :

لا يذكر ابن بشر شيئاً عن مباحثات الصلح بين عبد الله وابراهيم باشا ، ولا يحدثنا عما حدث لعبد الله في مصر حين اجتمع بمحمد علي ، وهو بعد هذا كله لا يذكر لنا شيئاً عما وقع له في استانبول ، مكتفياً بالقول إنه سافر الى مصر ثم الى استانبول حيث قتل ..

وسنحاول جهدنا تلخيص ما قاله مؤرخون وسياسيون عرب وأجانب في هذه الأمور التي أغفلها ابن بشر ..

عدد القتلى في معارك الدرعية :

قدّر ابن بشر عدد القتلى من الموحدين في معارك الدرعية بألف وثلاثمائة قتيل،وأما عدد قتلى العسكر منذ خروجهم من مصر حتى رجوعهم اليها فيقدره بإثني عشر ألفاً ، وهو يقول إن هذه الأرقام نقلها اليه، رواية عن كاتب الباشا ، (رجل ظهر من مصر ممن جـلا مع آل سعود) .. ويضيف إلى ذلك قوله : (وعلى هذا القول فلم يقتل من العسكر في الرس وعنيزة وشقراء وبلد ضرمى بالتخمين إن كثرنا فألفان ، وإن قللنا فألف وخمسمائة ، والباقي في الدرعية) .

وهكذا يقدر ابن بشر عدد قتلى الجيش المصري في الدرعية بنحو عشرة آلاف

قتيل، أي خمسة أضعاف قتلاهم في جميع المعارك التي خاضوها في سائر البلدان.

ونحن لا نملك إحصاء موثوقاً لعدد القتلى في مختلف الجبهات وفي كلا الجانبين، وقد يكون مجموع الخسائر المصرية قريباً مما ذكره ابن بشر، ولكننا نشك في صحة أرقامه عن خسائر الدرعية، فلا يعقل أن تكون خسائر المصريين فيها ثمانية أضعاف خسائر الموحدين، والله أعلم.

مشاهير قتلى الدرعية وعدد قتلى البلدان:

يقول ابن بشر إن القتلى من آل سعود نحو واحد وعشرين، ذكر منهم:

فيصل بن سعود، وأخوه إبراهيم، وأخوه تركي (الذي مات في آخر الحصار مريضاً).

فهد بن عبد الله بن عبد العزيز.

فهد بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود.

محمد بن عبد الله بن محمد بن سعود.

سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود، وابنه محمد.

محمد بن حسن بن مشاري بن سعود، وأخوه عبد الله، وأخوه عبد الرحمن.

إبراهيم بن عبد الله بن فرحان.

عبد الله بن ناصر بن مشاري.

عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود، أصابه حرامية في مدة مقام الباشا في الدرعية ومات.

وهناك قتلى من آل ثنيان وآل ناصر وآل هذلول..

- (وإنما ذكرت أسماء من قتل من آل سعود وعددهم ليعرف صدقهم في الحروب ومباشرتهم القتال بأنفسهم) -.

وقتل محمد بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقتل من آل معمر، أهل العيينة، خمسة عشر رجلاً، منهم تسعة رجال في وقعة ضرماء.

وقتل من آل دغيثر ستة رجال.

وقتل من سائر نواحي نجد من الرؤساء ومن دونهم خلق كثير . قتل من أهل الوشم قريب مائة رجل ، ومن أهل الحريق والحوطة نحو ثلاثين رجلاً ، ومن أهل ثادق والمحمل نحو أربعين رجلاً ، ومن أهل عرقة نحو أربعين رجلاً ، ومن بلد منفوحة أكثر من خمسين رجلاً ، ومن أهل الحريلا والعيينة والأفلاج وسدير والقصيم وغيرهم عدد كثير .

بطولة الدرعية :

بدأ حصار الدرعية في أول جمادي الاولى سنة ١٢٣٣ هـ. وصالح عنها الإمام عبد الله بن سعود في اليوم العاشر من شهر ذي القعدة ، وبذلك استمرت مقاومة الدرعية للغزو المصري ستة أشهر وبضعة أيام ، قاوم فيها حماة الدرعية المدافع الكبيرة والأسلحة الفتاكة المختلفة ، كالصواريخ والقذائف ، التي كان يرميهم بها الجيش المصري رمياً موصولاً بكثرة وعنف .

ويذكر ابن بشر ، في معرض المقارنة بين مقاومة الدرعية ومقاومة غيرها من المدن المحصنة ، أن ابراهيم باشا أخذ مدينة (عكا) عام ١٢٤٨ هـ. عنوة في سهولة ويسر ، مع أنها كانت (في قوة عظيمة من الرجال والأموال والإحصان بالبنيان ، ذكر لنا أن سورها فيه مزارع البطيخ وغيره ..

فمن هذه الوقعة شهد أهل الآفاق من أهل العراق والبصرة وغيرهم بالفضل لأهل الدرعية وقوتهم وثباتهم وشجاعتهم وصدق جلادهم وصبرهم على الحروب ، حيث ثبتوا له هذه المدة وقتلوا من عسكره أمماً عظيمة ، واستفزع عليهم أهل نجد فلم يبلغ المراد حتى كثرت الخيانة فيهم ، فالله المستعان .)

سبب الهزيمة :

يرجع ابن بشر سبب هزيمة عبدالله بن سعود وسقوط الدرعية الى خيانة نفر من أهل نجد ، ولكن هذا السبب لا يعد في نظر الغربيين سر الهزيمة ، وإن كانت التفرقة في كل زمان من أعظم الأسباب في ضياع الأوطان وهلاك البلدان.

ولقد أشار بعض المؤرخين الغربيين إلى ان ابراهيم باشا رشا واشترى بعض أهل نجد فأضعفوا دفاع بلادهم ، ونقل بعضهم رواية الأمير ضاري بن فهد

الرشيد التي يقول فيهـا ان الدرعية امتنعت على ابراهيم باشا حتى يئس منها فأرسل إلى أحد حراس البروج يقول له: أنا أعطيك مئة ألف ريال إذا أمكنتني من البرج الذي أنت فيه ، ففعل الحارس ، واستولى ابراهيم باشا على البرج وكان متسلطاً على البلد لعلوه ، ومن هناك أطلق مدافعه فخربت تخريباً فظيعاً وقتلت خلقاً كثيراً ، فاضطر عبد الله بن سعود إلى مصالحته ليفتدي بذلك بلاده ..)

هذه الحادثة قد تكون صحيحة ولكنها ليست تعليلاً كافياً للهزيمة التي بدأت مقدماتها قبل ذلك .

يقول ابن سند : (لما تحارب ابن سعود مع إبراهيم باشا المصري وغلب ابن سعود ، فما غلب من قلة عسكر أو من عدم شجاعة عساكره أو من احتياج إلى مال ، إنما غلبه إبراهيم باشا بالمدافع والآلات الحربية والنيران التي لا قبل له بها هو وجميع العرب ، وهـذا أمر آخر غير العساكر وغير الشجاعة ، يحتاج إلى معارف وعلوم وصناعات وهندسة ..) .

وهذا رأي فيه كثير من الصواب ، ولكن الموحدين كانوا قادرين على تحدي كل هذه العناصر والصمود لها ثم التغلب عليها ، لو أن عبد الله بن سعود التزم الخطة الحربية التي وصفها الجنرال فيغان وكثير غيره قبله ، خطة الكرّ والفرّ وعدم مجابهة المدافع المصرية في المدن ..

يقول القنصل الفرنسي روسيل إن المستشار الحربي الفرنسي لإبراهيم باشا (فيسيير) قال له إن الموحدين كانوا قادرين على وقف الهجوم المصري على بعد أربع ساعات من الدرعية ، ولكنهم ظنوا أن مكان المعركة المفضل هو الدرعية لأنها مدينة محصنة وعدد سكانها كبير يبلغ ثلاثين ألفاً ، وهذا هو الخطأ الذي ارتكبوه !.

وأمـا الخطأ الثاني فهو أنهم لم يستفيدوا من مزيتهم الكبرى وهي : سرعة التحرك ، فكان يجب عليهم أن يفجأوا العدو بهجمات تشنّ عليه خارج المدن ، ثم يفروا عنه بعد إيقاع الخسائر في صفوفه ،ولن يقوى الخصم على ملاحقتهم ،لأن النجدي أسرع عدواً من غيره ، وأكثر تحملاً لمشاق الصحراء وأعرف بها .

وفي الموسوعة الإسلامية الجديدة إشارة واضحة أيضاً إلى الخطأ الذي ارتكبه عبد الله بن سعود لأنه تحصن في الدرعية بدلاً من مهاجمة خطوط مواصلات العدو والإفادة من مقدرته على الحركة !..

بريدجس ينتقد سياسة عبد الله :

يقول بريدجس :

كل إنسان يعرف أن عبد الله أقل موهبة من أبيه سعود ، وإلى هذا التخلف ينسب العرب ضعفهم وإخفاقهم ، فإن كان عبد الله لا يُتهم في شجاعته فهو متهم في حكمته ودهائه ، ومتهم أكثر من ذلك في مجال الكرم ، فالكرم هو الذي يحمل المقاتلين العرب على التعلق بزعيمهم ..

وكان ينقص عبد الله أيضاً « الصبر » ، فهو الذي يرفع الرجل إلى مستوى القيادة ، وكان ينقصه كذلك الفكر النقّاد الذي يميز بين الرأي السديد والرأي الضعيف ، كان عبد الله يستشير أحياناً ولكنه لا يعرف الرأي الأفضل فيرجحه .

ومهما يكن الأمر ، فإنه يبدو لي أن هزيمة أصدقائي الفرس في حربهم للروس ، وهزيمة النجديين في حربهم للترك ، ناشئة عن نفس السبب ، وهو أنهم أرادوا الوقوف بمشاة غير مدربين وفرسان غير نظاميين ، أمام نيران المدفعية ، ولقد كانت النتيجة واحدة ..

إن قصة هذه المعارك تعطينا الدليل الكافي على أن عبدالله لو استعمل أسلوب القتال الذي يتقنه العرب – وهو الإنقضاض على العدو في سلسلة هجمات خاطفة وضرب قوافل تموينه ومنع الماء عنه بمختلف الوسائل – لَما استطاع الترك الإقامة طويلاً تحت شمس محرقة وفي صحراء مهلكة ..

وهناك غلطتان كبيرتان ارتكبهما عبد الله أيضاً :

الاولى : في (الرس) ، حين تمكن عبد الله من قطع خط الاتصال التركي بين الخبرا والمدينة ، مما ينذر بنفاد مؤن الجيش التركي (او المصري) الذي أصبح يعتمد في تموينه على قريتين او ثلاث لا تستطيع القيام بحاجاته طويلاً .. وكانت

خيالة عبد الله تحوم حول معسكر ابراهيم باشا وتحصي على رجاله أنفـاسه .. في ذلك الوقت وقـّع عبد الله معاهدة مجحفة بحقه – ومع ذلك رفض محمد علي فيما بعد إقرارها وإبرامها – .

الثانية ، وهي تدل على الضعف إن لم نقل .. الخمول، فهي قعوده عن مهاجمة الترك يوم (٢٨) أيار حين انفجر مستودع البارود في معسكرهم وعمّت الفوضى صفوفهم وسيطر الذعر على أفرادهم ، فلقـد بقي عبد الله بن سعود يومئذ جامداً في مكانه ،فأعطى الترك الفرصة لإصلاح أمورهم وتعويض خسائرهم والإستعداد للمعارك الجديدة ...

ثم كان على عبد الله أن يهرب من الدرعيـــة ، وإن وقعت تحت يد الترك ، فليست الدرعية كل نجد وإنما هي بلدة في نجد ، وربما كان مردّ حرصه على البقاء في الدرعيـــة إلى عاطفته نحو أسرته ونحو الأهـــالي ثم إلى ثقته بشرف الترك وعهودهم .. وهذه الثقة تدل على ضعف الرأي – ولعلهـا لا تنسجم مع عقائده نفسها ..

ومهما يكن رأينـا في ابراهيم باشا سيئاً ، فيجب علينا الإعتراف بأنه أوضح لعبد الله ما قد يصنعه به السلطان العثماني ، وبذلك نفى عن نفسه تهمة المخادعة والمكر وكان على عبد الله أن ينظر إلى نفسه فلا يلقيها بيديه إلى التهلكة، فليس هلاكه هلاك فرد وإنما كان هلاك بلاد وضياع قضية .)

في خيم ابراهيم باشا

رواية الرافعي :

يقول الرافعي : (رأى عبد الله بن سعود انه ليس في مقدوره المقـــاومة ، بعـد أن فدحته الخسائر ونالته الأوصاب ، فجنح إلى الصلح والتسليم ، وأرسل يوم ٩ سبتمبر ١٨١٨ م. رسولاً إلى ابراهيم باشا يطلب وقف القتـــال ، حتى يتم الاتفـــاق على الصلح ، فابتهج ابراهيم لهذه الرسالة ابتهاجاً عظيماً ، وأذن بوقف القتال .

ثم جاء عبد الله بن سعود إلى معسكر ابراهيم باشا ، فتلقاه القائد العظيم بالحفاوة والإكرام ، وتمّ الاتفاق بينهما على أن تسلم الدرعية إلى البطل ابراهيم ، وأن يتعهد بالإبقاء عليها وألاّ يوقع بالنجديين أو ينالهم بضرر ، وأن يذهب عبد الله بن سعود إلى الآستانة كما هي رغبة السلطان .

فرضي عبد الله بن سعود بهذه الشروط ،

واستولى الجيش المصري على الدرعية ، بعد حصار دام ستة أشهر ،

وبعد فتح الدرعية لم تلبث المدن الباقية من نجد أن سلّمت وخضعت ..)

رواية أنكيري :

ويقول (أنكيري) إن عبد الله بن سعود ، ومعه إخوته وأولاده وأبناء عمه ، جاؤوا إلى خيمة ابراهيم باشا ، وكان ابراهيم باشا جالساً على ديوان ، فسار عبد الله حتى قاربه ، فقال ابراهيم باشا :

لماذا أردت استمرار الحرب مع أن الشعب كله كان يريد السلم ؟

فقال عبد الله : هكذا شاء الله !

قال ابراهيم باشا : إذا كنت لا تزال راغباً في الحرب ، فأنا أقدم اليك ما تحتاج اليه من الذخائر .

فقال عبد الله : ما نفع ذلك ؟ لم يغلبني جندك ، ولكن أراد الله لي هذا المصير ..

فقال ابراهيم : لا بأس عليك ! كم من شجاع خسر في الحرب .

وطلب عبد الله الأمان ، فقال ابراهيم : حسناً . ولكن والدي اشترط عليّ أن ارسلك إلى مصر .

فقال عبد الله : أريد أن تمهلني يوماً كاملاً ، لأفكر في هذا الأمر !

ورجع عبد الله إلى الدرعية وعقد مجلساً ، فأشار عليه بعضهم بالفرار إلى الصحراء . ولكنه صمّم على قبول الشرط والسفر إلى مصر ..

وبقي في الدرعية ستة أيام كان خلالها موضع تكريم ابراهيم باشا ، وطلب

من ابراهيم باشا بإلحاح الإبقـــاء على حياة أسرته وعدم تهديم الدرعية ، فوعده ابراهيم بذلك . وفي نهاية الاسبوع أرسله ابراهيم إلى مصر .

كلمة عظيمة لعبد الله يرويها قنصل فرنسا :

وجاء في رسالة للقنصل الفرنسي (روسيل) ، بعث بها إلى وزارة الخارجية في باريس ، أن عبـد الله بن سعود ، لما ذهب إلى خيمة ابراهيم باشا ليفاوضه في الصلح ، قال له ابراهيم باشا :

الآن رأيتَ قوتي فسلـّمتَ ، وأنا أحميك حتى تصل إلى أبي ، وأبي يحميك حتى تصل إلى السلطان ، وأما السلطان فلسنا نعلم ما يصنع بك !..

فقال عبد الله :

(أنت قوي يا ابراهيم ، وأبوك محمـد علي أقوى منك ، والسلطان محمود أقوى من أبيك ، ولكن الله سبحانه وتعـــالى أقوى منكم جميعاً ، وإذا لم يكن مقدّراً عليّ أن أقتل فان سيوفكم كلها لا تستطيع أن تقطع رأسي .)

رواية غوان :

يزعم (غوان) إن من جملة الأسباب التي رَغـّبَتْ عبد الله في الصلح أن ابراهيم باشا أعاد اليه ابنه « سعداً » ، الذي كان أسره في معارك الغصيبة ، وأن عبد الله جاء إلى خيمة ابراهيم باشا أكثر من مرة قبل سفره إلى مصر وأكل معه ، وفي ١٤ من ذي القعدة – ١٥ سبتمبر ، سافر عبد الله إلى القاهرة ، وكان يرافقه من رجاله : خازنه السري ، وكاتبه (عبد العزيز بن سلمان) ، وقد سار معه أربعمائة من العسكر لحراسته ، يقودهم (رشوان آغا) .

بعـــد الصلح :

القتل والتمثيل والنفي والتخريب

يقول الرافعي :

(لم يفِ محمد علي بعهود ابنه ابراهيم في شروط الصلح ، فأرسل إلى ابراهيم ، قبل مغادرته الحجاز ، يأمره بهدم حصون الدرعية وأسوارها وتخريب منازلها..

وأن يرسل إلى القاهرة إخوة عبد الله بن سعود ، فنزل ابراهيم على رأي أبيه..)

ويقول ويندر ، نقلاً عن هوغارث ، إن الفظائع التي ارتكبت ضد أمراء نجد ورجالاتها إنما يحمل أوزارها محمد علي لا إبراهيم باشا ، وذلك أن محمد علي ما كان ينوي الاحتفاظ لنفسه بنجد ، وكان كل همه أن يحطم البلاد النجدية ثم يتركها فريسة الخلافات القبلية القديمة !

والحق إن محمد علي هو صاحب الأمر والنهي لا ابنه ابراهيم ، ولكن ولده كان ظالماً بطبعه وربما ذهب إلى أبعد مما أراد أبوه.. وكان ضباط الجيش المصري - أو المختلط - وأفراده من ترك وأفارقة وشراكسة لا يدركون أنهم في بلاد إسلامية ويجب أن يعاملوا أهلها المغلوبين معاملة إنسانية كريمة ، وعلى العكس كانوا يبيحون لأنفسهم ما لا يباح ويرتكبون من الجرائم والمظالم ما تقشعر لمجرد ذكره النفوس ، وهكذا كان الغزاة ، من القمة إلى القاعدة ، مجموعة حاقدة لئيمة ، فلا عجب إذا صدرت عنها جرائم وأفعال في غاية الهمجية .

قال ابن بشر :

(.. وفي هذه السنة - أي سنة ١٢٣٣ هـ . التي تمّ فيها استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية - كثر الاضطراب والاختلاف ونهب الأموال وقتل الرجال .. وانحلّ فيها نظام الجماعة والسمع والطاعة ، وعُدِمَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يستطيع أحد أن ينهى عن منكر أو يأمر بطاعة ، وعُمِل بالمحرمات والمكروهات جهراً ... وجرّ الرباب والغناء في المجالس ، وسفت الذراري على الجامع والمدارس ... وسُلّ سيف الفتنة بين الأنام ، وصار الرجل في وسط بيته لا ينام ، وتعذرت الأسفار بين البلدان .. الخ ..)

ويصف ابن بشر ، ما كان من جيش ابراهيم باشا ، بعد ذلك ، فيقول :

(.. ثم إن الباشا أخذ خيل آل سعود وشوكة الحرب وما وجد عليه اسمهم في بندق أو سيف .

وأكثر العسكر العبث في أسواق الدرعية والضرب والتسخير لأهلها ، فكانوا يجمعون الرجال من الأسواق ويخرجونهم من الدور ويحملون على ظهورهم ما

تحمله الحيوانات ويسخرونهم .. يهدمون البيوت والدكاكين ويحملون خشبها ويكسرونه ، ويردون لهم الماء ويحملونه ، فلا يعرفون لفاضِل فضله ولا لعالِم قدره ، وصار الساقط الخسيس في تلك الأيام هو الرئيس ..)

وقد فعل الجيش الغازي مثل ذلك في سائر البلدان النجدية .. فقتلوا رجالاً ونهبوا أموالاً ، ولم يتورعوا عن إيذاء العلماء وتحقيرهم وقتلهم صبراً وتعذيبهم والتمثيل بهم . ومن الحوادث التي ذكرها ابن بشر في هذا الباب ما جرى للعالِم الجليل الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، فقد أرسل (اليه الباشا وتهدّده ، وأمر على آلات اللهو من الرباب فجروها عنده إرغاماً له بها ، ثم أرسل اليه الباشا بعد ذلك وخرج به إلى المقبرة ومعه عدد كثير من العساكر فأمرهم أن يثوروا فيه البنادق والقرابين فثوروها فيه ، وجمع لحمه بعد ذلك قطعاً ..)

وفي الأحساء أمسكوا العالِم الفقيه القاضي الشيخ عبد الرحمن بن نامي (وحبسوه وأخذوا أمواله وقتلوه ..)

(ولما صالح الباشا أهل الدرعية واستقر به القرار فيها كثر عنده القيل والقال من أهل نجد في أعيان المسلمين وأهل الصلاح والعلم منهم ، فرموهم عنده بالبهتان وتظاهروا عليهم بالإثم والعدوان ، فقتل الباشا من أعيان المسلمين عدة رجال ، فمنهم من قُتل صبراً بالقرابين والبنادق ، ومنهم من جُعل في ملفظ القبس والقنبر ، فممن جُعل في ملفظ القبس علي بن حمد بن راشد العريني ، قاضي ناحية الخرج ، وصالح بن رشيد الحربي ، من أهل بلد الرس ، وعبد الله بن صقر الحربي ، من أهل بلد الدرعية .

وممن قُتل بالقرابين والبنادق رشيد السردي ، قاضي الحوطة والحريق ، وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن سويلم وحمد بن عيسى بن سويلم من أهل الدرعية ، ومحمد بن ابراهيم بن سدحان صاحب بلد شقرا ، وغيرهم ..

وكان الشيخ العالم القاضي أحمد آل عفالق ، الحنبلي ، صاحب المدينة ، عند

عبد الله في الدرعية فأمر عليه البـــاشا فعزر بالضرب والعذاب وقلعوا جميع أضراسه ..) — ابن بشر —

رواية « آثار الأدهار » :

ويزعم مؤلفا آثار الأدهار أن ابراهيم باشا أمر عساكره ، بعـــد الصلح ، بالكف عن النهب ، (وعفـا عن السكان .. إلا أئمة الوهابية فإنه قبض عليهم وكانوا نحو خمسمائة رجل ، ابتغاء استئصال شأفتهم ... وجمع الشيوخ في مسجد هناك — فيالدرعية — وجاءهم بشيوخ السنة للمناظرة والجدال فتحاوروا أربعة أيام ، وطال على ابراهيم باشا « مجاءرتهم » — كذا — فأمر بهم فقتلهم الجنود ..

.. وكان قد أرسل اليه والده أن يهدم الدرعية وغيرهـا من المدن الحصينة ويرسل أهل الأمير عبد الله ورهائن من وجوه البلاد إلى مصر ، ففعل وانطمست معالم الدرعية ..)

وفي آثار الأدهار أيضاًأنابراهيم شاد قلاعاً في نجد،وخصوصاً فيمدخل وادي حنيفة ، وحفر آباراً .. وأنه أراد تجديد بناء (العيينة) لحسن موضعها ولكن العرب كرهوا توطنها ، فرجع عن عزمه ..

أفراح محمد علي ومصر بسقوط الدرعية :

يقول الرافعي :

(كان للأنباء التي جاءت بفتح الدرعية وانتهاء الحرب الوهـابية أثر ابتهاج عظيم في مصر ، وقوبلت باحتفالات بالغـة ، وصفها الجبرتي بقوله : « في سابع ذي الحجة ١٢٣٣ هـ . (اكتوبر ١٨١٨ م .) وردت بشائر من شرق الحجاز .. بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية ، فانسر الباشا لهذا الخبر سروراً عظيماً ، وانجلى عنه الضجر والقلق ، وأنعم على المبشر .. وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش !..

وفي ثاني عشر وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع ، فأكثروا من

ضرب المدافع من كل جهة ، واستمر الضرب إلى المغرب ، بحيث ضرب من القلعة خاصة ألف مدفع ، وصادف ذلك شنك أيام العيد وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وفي بولاق ومصر القديمة والجيزة ، وشنك على بحر النيل تجاه الترسانة ببولاق .

وتجددت الحفلات في شهر محرم سنة ١٢٣٤ لمناسبة ورود تفاصيل الانتصارات التي نالها ابراهيم باشا ، وأسهب (الجبرتي) في وصف تلك الحفلات ، مما يدل على فخامتها وبهائها .. فقد نودي بزينة المدينة سبعة أيام ، ونصبت السرادقات خارج باب النصر ، ومن بينها سرادق محمد علي وباقي الأمراء لمشاهدة الحفلات ، وهي مناورات حربية تتخللها حركات فروسية قام بها الخيالة والمشاة ، واقترنت بإطلاق المدافع بكثرة هائلة[1] بحيث يتخيل الإنسان أصواتها مع أصوات بنادق الخيالة الرماحين رعوداً هائلة .

وفي الليل كانت توقد المصابيح والمشاعل ، وتطلق الصواريخ والحراقات ، وتضرب المدافع .

وبعد انقضاء السبعة أيام أُعدّت حفلات أخرى بحرية ، لأن الحفلات الاولى كانت برية ، أما حفلات بولاق فكان ميدانها النيل وشاطئيه ، ولعلها لذلك كانت أبدع وأروع ، فقد استؤجرت الأماكن المطلة على النيل بأجور مرتفعة لتزاحم الناس على مشاهدتها واستجلاء مناظرها ، وكان قوام الحفلات مناورات بحرية تقوم بها السفن والمراكب تمثل فيها المعارك البحرية ، ولبست بولاق حلة من الرونق والبهاء ، وأقبل الناس في كل صوب لمشاهدة معالم الزينة ، وزيّن أهالي

---

(١) مما قاله الجبرتي ، ولم ينقله الرافعي ، أن المدفع الواحد كان يضرب اثنتي عشرة مرة في الدقيقة فكانوا يطلقون خلال ساعات قلائل ما يقرب من ثمانين ألف طلقة .. وانهم صنعوا « الدونانمة » على بحر النيل فصنعوا صورة قلعة بأبراج وقباب وزوايا وأنصاف دوائر وخورنقات وطيقان للمدافع .. وصورة بستان على سفائن وصورة عربة يجرها أفراس ، وبها تماثيل وصور ، جالسين وقائمين .. وكانت تتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء .. ويخرج منها حراقات وصواريخ .. وغالب هذه الأعمال من صناعة الافرنج .

بولاق أسواقهم وحوانيتهم وأبواب دورهم ، ودقت الطبول والمزامير والنقرازانات في السفائن وغيرها ، وطبلخانة « موسيقى » الباشا تضرب في كل وقت ، والمدافع الكثيرة تضرب في ضحوة كل يوم وبعد العشاء ، وتوقد المشاعل وتعمل أصناف الحراقات والصواريخ والنفوط ، وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ، ويرمون منها المدافع على هيئة المتحاربين » .

ولعلك تلحظ من التأمل في وصف الجبرتي لهذه الحفلات أنها فاقت في جلالها وفخامتها كلما تقدم من الحفلات في مختلف المناسبات، ولم نجد فيما وصفه بعد ذلك من الحفلات لغاية انتهاء كتابه ما يدانيها في الروعة والبهاء .

وهذا يدلك على عظم تقدير الشعب للانتصارات الحربية وما تستثيره في النفوس من روح الفخر والعزة ، ولا جرم ان الحفلات الحربية هي مظهر من مظاهر تقدم الشعوب وتقديرها لمفاخرها القومية وتكريم الفضائل والأخلاق الحربية ، فالحفلات التي وصفها الجبرتي تنطوي على هذه المعاني السامية ، وليس عجباً أن تحتفل مصر بفتح الدرعية ، فإن فتحها هو أعظم انتصار نالته في أول حرب خارجية خاضت غمارها في تاريخها الحديث ، فالدرعية هي عاصمة النجديين ، وبفتحها توجت حرب شاقة دامت سبع سنوات وكللت بالنصر والظفر .)

ذلك ما قاله الرافعي ! ومن المحزن حقاً أن ترد تلك الكلمات في كتاب مسلم عربي، يجهل — أو يتجاهل — أن الدولة السعودية كانت يومئذ، وحدها ، الدولة العربية المسلمة القوية الحرة ، المستقلة عن « التسلط » العثماني ، والتي كان يرجى لها أن تحرر بقية البلاد العربية أو تساعدها على التحرر.. فالتغلب عليها ،تنفيذاً لأوامر السلطان التركي ، ليس مفخرة لصاحبه، وإنما هو عار، وخزي وجريمة !

عبد الله بن سعود في مصر

رواية الجبرتي :

(في ١٧ محرم سنة ١٢٣٤ هـ . وصل القاهرة عبد الله بن سعود ، ودخل من باب النصر – وهو راكب على هجين ، وأمامه طائفة من الدلاة ، وبجانبه عبد الله بكتاش ، قبطان السويس ، فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق ، ورفعوا الزينة ، وركب الباشا « محمد علي » إلى قصر شبرا في تلك السفينة وانفضّ الجمع وذهبوا إلى دورهم .

وقد ذهبوا بعبد الله إلى بيت اسماعيل باشا ، ابن الباشا ، فأقام يومه ، وذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا ، فلما دخل عليه قام له وحيّاه ببشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه ، وقال له :

ما هذه المطاولة ؟

فقال : الحرب سجال !

قال : وكيف رأيت ابني ابراهيم باشا ؟

قال : ما قصر ، وبذل همته ، ونحن كذلك ، حتى كان ما قدّر الله .

فقال : أنا ، إن شاء الله تعالى ، أترجى فيك عند مولانا السلطان ..

فقال : المقدر يكون ..

ثم ألبسه خلعة ، وانصرف عنه إلى بيت اسماعيل باشا ببولاق .

ونزل الباشا في ذلك اليوم السفينة وسافر إلى جهة دمياط .

وفي مقابلة ثانية ، كان عبد الله يحمل معه صندوقاً صغيراً من صفيح ، فقال له الباشا :

– ما هذا ؟

فقال : هذا ما أخذه أبي من الحجرة ، أصحبه معي إلى السلطان .

وفتحه ، فوجد فيه ثلاثة مصاحف مكللة ، ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار ، وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب .

فقال الباشا : الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا ..

فقال : هذا الذي وجدته عند أبي ، فإنه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه ،بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة .

فقال له الباشا : صحيح ، وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك !

وفي يوم الاربعاء سافر عبد الله إلى جهة الإسكندرية ، وصحبته جماعة من التتر ، إلى دار السلطنة ، في استانبول ، ومعه خدم لزومه) .

روايتا غوان وأنكيري :

لا تختلف روايتا أنكيري وغوان للقاء محمد علي وعبد الله عما كتبه الجبرتي ، ويزيد أنكيري أن محمد علي ختم بخاتمه صندوق المجوهرات وقال لعبد الله : ستقدم هذا الصندوق بنفسك إلى السلطان !

ويقول أنكيري إن جواب عبدالله على سؤال محمد علي له عن ابنه ابراهيم هو : (قام ابنك بواجبه ، وقمت أنا بواجبي ، والله يحكم فيما بيننا !)

فسُرَّ محمد علي من هذا الجواب ..

ويقول (غوان) إن محمد علي قال لعبد الله : ما رأيك في حوادث نجد التي أصبحت الآن من التاريخ ؟

فأجاب عبد الله : قبل أن يقرأها البشر تاريخاً ، كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ !..

عبد الله بن سعود في استانبول

رواية جودت باشا :

يقول جودت باشا ، المؤرخ التركي المشهور ، ان عبد الله بن سعود وصل الى خليج استانبول في اليوم الخامس عشر من صفر سنة ١٢٣٤ هـ. وانهم قيدوه هو ورفقاؤه بالسلاسل وساقوهم الى سجن (بوستانجي باشي) ، بعد أن مروا بهم في طرق كثيرة ، وبالقرب من الباب العالي ، ليراهم النـاس قبل إيداعهم السجن ، حيث مكثوا ثلاثة أيام أجريت خلالها التحقيقات معهم عما فعلوه !..

وبعد انتهاء التحقيق ، تقرر إعدام عبد الله بن سعود وجماعته، فأرسلوا أولاً الى السراي الهمايونية القديمة، حيث كان السلطان وحاشيته يتفرجون على ألعاب الفروسية و (الجريد) فألقى عليهم نظرة من بعيد ، ثم أخذوهم الى ساحة (بالي كوشك) حيث جرى إعدامهم .

كلمة أنكيري ومانجان :

ويقول (أنكيري) إن محمد علي أرسل مع القائد الموكل بمرافقة عبد الله بن سعود الى استانبول كتاباً الى السلطان يلتمس فيه منه العفو عن عبدالله.. ولكن رجال الديوان السلطاني كانوا ممتلئين حقداً وغيظاً على أمراء نجـد الذين تحدوا الخلافة العثمانية وحقـروا سمعتها في العـالم فلم يعيروا كتاب محمد علي أي اهتمام ، وكان همهم الوحيد منصرفاً الى الانتقام .. ولذلك طافوا بعبد الله في شوارع

استانبول أياماً للتشهير ، ثم شنقوه ووضعوا قرار الحكم على جسده وثبتوه بخنجر .

ويقول مانجان : لقد ضحوا عبد الله ليرضوا حقد الشعب التركي المتعصب فطافوا به شوارع استانبول ثلاثة أيام ثم قطعوا رأسه في ساحة أيا صوفيا .

رواية أيوب صبري :

ويقول أيوب صبري مؤلف (مرآة الحرمين) و (تاريخ وهابية) وهو شديد العداوة لأهل نجد ، ان عبد الله بعد التحقيق معه والحكم عليه بالاعدام، لم يقتل فوراً ، لأن تنفيذ حكم الإعدام ، او اعتباره قابلاً للتنفيذ ، يستوجب موافقة السلطان وإذنه ، فانتظروا حتى حضر السلطان الى السراي القديمة (أسكي سراي) ، وأوقفوا عبد الله بين يدي السلطان، وكان الى جانب السلطان رئيس الوزراء درويش باشا وشيخ الاسلام (مكي زاده مصطفى عاصم) ، ثم تلي قرار الحكم الذي أجازه السلطان وصدرت به الفتوى بإعدام عبد الله ورفاقه لارتكابهم جرائم .. عدّدها الحكم .. منها اغلاق طريق الحج .. وتحريض القبائل على العصيان ... الخ . وبعد ذلك نفذ الحكم .

وقد استقبل عبد الله بن سعود الموت بشجاعة نادرة .

وأعدم كل من طامي القحطاني ، وعثمان المضايفي ، والقلعجي ، وغيرهم في أماكن مختلفة .

رواية روتير Le Colonel Rottiers :

نقل ويندر عن الكولونيل روتير في كتابه :(رحلة من تفليس الى استانبول) قوله : لقد رأيت بأم عيني إعدام عبد الله بن سعود ، رئيس الوهابيين ، الذي قتلوه عند باب حدائق السراي في شهر نوفمبر ١٨١٨ م .

لقد حاول بعض العلماء الترك حمله على نبذ معتقداته واعتناق مذهبهم فرفض، وهكذا مات شهيد العقيدة .

ويقول ويندر إن الترك وضعوا رأس عبد الله ، بعد إعدامه ، في فوهة

مدفع ورموها .. وأما جسده فعلقوه على عامود ، وبسطوا عليه قطعة بيضاء من القماش كتب عليها الحكم الصادر عليه ، ليقرأه الناس .

كلمة الجبرتي :

وقال الجبرتي : وصلت الأخبار عن عبد الله بن سعود أنه لما وصل استانبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون، وقتلوا أتباعه أيضاً في نواحي متفرقة، فذهبوا مع الشهداء .

وثيقة التحقيق مع عبد الله بن سعود وكاتبه وخازنه

حول كنوز الضريح النبوي ومشهد الحسين

وجدنا في دار الوثائق باستانبول – التابعة لرئاسة مجلس الوزراء – صك التحقيق الذي جرى في سجن (بوستانجي باشي) مع الإمام عبد الله بن سعود وكاتبه عبد العزيز وخازنه عبد الله السري ، وهذه ترجمة الصك في شيء يسير من التصرف والاختصار :

رقم الوثيقة (١٩٦٢٧ – ١ / ٢) :

أُخرج عبد الله بن سعود وحده ، ووُجِّه اليه السؤال الأول بهذه الصيغة :

سنسألك الآن عن عدد من الأشياء، فإذا أجبت أجوبة صادقة صريحة تدعو إلى الاطمئنان والثقة فإن ذلك يجعلك موضع التفات كريم ، وإذا أنكرت وتمسكت بالدعاوى الباطلة فستواجه عقاباً شديداً . هذا سؤالنا نطرحه عليك:

لما استولى أبوك (سعود) على المدينة المنورة كنت أنت معه وملازماً له ، وقد دخلتم الروضة المطهرة وانتزعتم منها ... أشياء كثيرة قيِّمة وأموالاً وقطعاً نفيسة وضعت هناك للبركة وأحجاراً كريمة ،وما حملته معك في الصندوق الصغير لا يمثل إلا جزءاً يسيراً جداً من تلك الأشياء النفيسة الكثيرة ، فقل لنا أين توجد الأشياء الباقية التي لم تحضرها معك ؟ إنك لا تستطيع أن تدعي أنها

تلفت .. لأنها ليست من الأشياء القابلة للتلف ، فعند من بقيت تلك الأشياء ؟ أجبنا على وجه الصحة وبيّن لنا الحقيقة ، فالحقيقة ترسم لك طريق النجاة !

فأجاب عبد الله بن سعود :

لقد كنت مع والدي سعود حين دخل المدينة المنورة ، ولكنني لم أكن معه حين دخل الروضة الشريفة .

وأنا لم أكن راضياً عن أخذ أي شيء من ضريح النبي (ص) ولم آخذ شيئاً لا كثيراً ولا قليلاً ولم أشاهد ما أخذه والدي لأنني لم أكن معه حين أخذ ما اخذه ، وإنما كان معه بعض رجاله ، الذين يصحبونه عادة أمثال (غصاب) و (حباب) و (عبد الله بن مطلق) و (أحمد الحنبلي) و (ابراهيم بن سعيد) وغيرهم ، وقد توفي من هؤلاء ابراهيم بن سعيد ، ولا يزال الآخرون في الدرعية عند ابراهيم باشا فتستطيعون سؤالهم عما تريدون، ولعل أعرف إنسان بالحقيقة هو (جبر) الذي كان كاتباً خاصاً لأبي .

قلنا لعبد الله ، بعد هذا الجواب :

أنت أكبر أبناء ابيك سعود والرجل المؤتمن منه وموضع الثقة وكنت تتصرف في كثير من اموره ، فقولك إنك لا تعرف، وإحالتك الجواب على فلان وفلان لتبرئة ذمتك ، جواب لا نقبله منك ، وأنت تعرف حتماً مصير ما أُخِذ من الروضة ، فلا تتذرع بالإنكار !.

فقال عبد الله ، وأيّد أقواله بالإيمان المغلّظة ، إنه لم يرَ الأشياء التي أخذها والده ولا يعرف أشكالها ولا أنواعها ، ولا يعرفها إلا الأشخاص الذين رافقوا والده وهم موجودون في الدرعية !

وأضاف : إنه بعد هذه الحوادث ابتعد عن ابيه ، وبقيت الصلات بينهما فاترة حتى وفاة أبيه سعود !

وهنا أعيد عبد الله الى مكانه ، وأحضر رفيقه عبيد الله السري منفرداً وسئل نفس السؤال الذي وجه الى عبد الله ، فأنكر معرفته بالأشياء المأخوذة

من الضريح النبوي وذكر أسماء الأشخاص الذين يعرفون ذلك وهم الأشخاص الذين سماهم عبد الله بن بن سعود ، ثم قال :

لما كان عبد الله بن سعود في الدرعية يتجهز للسفر الى مصر فاستانبول ، جاءت اليه شقيقة عبد الرحمن بن سعود وسلمته الصندوق الذي حمله عبد الله معه وذهب به الى ابراهيم باشا ثم الى محمد علي وأخيراً الى استانبول ، وهـذا كل ما أعرفه ..

استدعى المحقق اليه عبدالله بن سعود مرة اخرى وكرّر عليه السؤال بصيغة جديدة قائلاً له : هل سمعت شيئاً ، عن تلك الكنوز ومصيرها ، من النـاس ؟ فأجابه أن بعضها بيع الى الشريف غالب ، بواسطة محمد العطاس ، وقد أرسل الشريف شيئاً ممـا اشتراه الى الهند فبيـع هناك ، ووزع والده سعود بعضها على بعض الأعيان ، وما بقي من تلك النفائس سلمه سعود الى أخته (موضي) بعد أن كتب أسماء الأشياء الباقية على ورقة وضعها داخل الصندوق .

وبعد وفاة سعود ورجوع عبد الله الى الدرعية ، حدثته أخته عن الصندوق ، وقبل سفره جاءت اليه بالصندوق ، فسلمه الى ابراهيم باشا – وهـذا طلب منه أخذه معه الى استانبول .

وهنا يقول المحقق : ان اقوال عبد الله مطابقة للتحقيقات التي قـام بها ابراهيم باشا .

ويضيف المحقق انه عـاد فسأل عبد الله عن الأشياء التي لم تبـع ولم توزع ولم تتلف .. لأنه لا يعقل أن يكون ما في الصندوق هو كل ما كان يحتفظ به سعود .. ثم سأله أيضاً عن النفائس التي أخذت من مشهد الحسين ومن أماكن أخرى .

فأقسم عبد الله أنه لا يعرف إلا ما قاله ، وأنـه لا يعرف شيئاً إطلاقاً عن قصة مشهد الحسين .. وأنه يرجو ان تقوم الدولة بتحقيقات دقيقة حول هـذه الأمور فتتبين لها براءته منها ..

ثم أعيد عبد الله الى مكانه ، وأحضر عبد العزيز ، كاتبه ، فقال :

لقد كنت في خدمة عبد الله وكنت أكتب له ، ولمـا امر بالسفر الى مصر

فاستانبول أحبَّ أن يصحبه اثنا عشر رجلا من رجاله ولكن محمد علي ، عند وصولنا الى مصر ، استكثر هذا العدد وسمح لعبد الله أن يختار منهم اثنين فقط يصحبانه الى استانبول فاختارني أنا ورفيقي الآخر ، ولم نكن نعرف بأننا سنتعرض لما نتعرض له الآن !..

أنا لم أكن حاضراً لا في دخول المدينة المنورة ولا في مشهد الإمام الحسين ، ولا علم لي بما أخذ منهما ، وأعرف أن عبد الله لم يكن راضياً عن اقتحام أبيه للحجرة الطاهرة وأخذه ما فيها ، وقد افترق عن أبيه بعد هذه الحادثة وبقي بعيداً عنه حتى وفاته .

وأعتقد أن سعود لم يطلع أحداً على ما أخذه ، اللهم إلا عدداً قليلاً جداً من خواصه كحباب وغصاب .. وقد سمعت أن سعود أهدى بعض ما أخذه الى جماعة من الأعيان وباع شيئاً منه الى شريف مكة ولم يبق عند عبد الله إلا هذا الصندوق الذي استلمه بعد وفاة والده .

قال المحقق : وبذلك أيَّدَ عبد العزيز أقوال عبد الله .

تهــديم الدرعية

كيف كانت الدرعية ؟

قال ابن بشر ، يصف الدرعية :

(كانت قوة هذه البلدة وعظم مبانيها وقوة أهلهـا وكثرة رجالها وأموالها لا يقدر الواصف صفتها ولا يحيط العارف بمعرفتها ، فلو ذهبت أعدّ رجالهـا وإقبالهم فيها وإدبارهم في كتائب الخيل والنجائب العمانيات ، ومـا يدخل على أهلها من أحمال الأموال من سائر الأجناس التي لهم مع المسافرين من أهلهـا ومن أهل الأقطار لم يسعه كتاب ، ولرأيت العجب العجاب .

كان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن وتهــامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم إلى غير ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عدُهم ، هــذا داخل فيها وهذا خارج منها وهذا مستوطن فيها .

وكانت الدور لا تباع فيها إلا نادراً، وأثمانها سبعة آلاف ريال وخمسة آلاف ريال والداني بألف ريال وأقل وأكثر، وكل شيء يقدر على هذا التقدير ، وكروة الدكان في الشهر خمسة وأربعون ريالاً وسائر الدكاكين الواحــد بريال في اليوم وشيء نصف ريال .

وذكر لي أن القافلة من الهدم إذا أتت اليها بلغت كروة الدكان في اليوم الواحد

أربعة أريل، وأراد رجل منهم أن يوسع بيته ويعمره فاشترى نخيلات تحت هذا البيت يريد قطعها وتعمير موضعها كل نخـلة بأربعين ريالاً وخمسين ريالاً ، فقطع النخل وعمر البيت ، ولكنه وقع عليه الهدم قبل تمامه .

وذكر لي من أثق به أن رجلاً من أهل الدرعية قـال له إني أردت ميزاناً في بيتي فاشتريت خشبة وطولها ثلاثة أذرع بأربعة أريل وأجرة نجره وبناه ريال . وكان غلا الحطب والخشب فيها الى حد الغـاية حتى قيل إن حمل الحطب بلغ خمسة أريل وستة ، والذراع من الخشبة الغليظة بريال .

وكل بيوتها مقاصير وقصور ... فإذا وقفت في مكان مرتفع ونظرت موسمها وكثرة مـا فيها من الخلائق ونزايلهم فيه وإقبالهم وإدبارهم ثم سمعت رنتهم ونجناجهم فيه فكأنه دوي السيل القوي إذا صُبَّ من عـالي جبل ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يُضام سلطانه ولا يُرام عزه .)

.. وكيف صارت ؟

ثم قال ابن بشر ، يصف هدم الدرعية :

(.. فلمـا كان في شعبان – سنة ١٢٣٤ هـ . – وقدمت الرسل والمكاتبات من محمد علي صاحب مصر على ابراهيم باشا ، وهو في الدرعية، أمر بهدم الدرعية وتدميرها ، وأمر على أهلها أن يرحلوا عنها .

ثم أمر على العساكر أن يهدموا دورهـا وقصورها ، وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ، ولا يرحموا صغيرهـا ولا كبيرها .. فابتدر العساكر مسرعين وهدموها ، وبعض أهلهـا فيها مقيمين ، فقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور .. وأشعلوا في بيوتهـا النيران ، وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان ، فتركوها خالية المساكن ، كأن لم يكن بها من قديم ساكن ..

وتفرق أهلها في النواحي والبلدان، وذلك بتقدير الذي كل يوم هو في شأن.)

نفي وإبعاد آل سعود وآل الشيخ الى مصر :

قال ابن بشر : (ثم إن الباشا أقام في الدرعية ، وطال مقامه فيها نحو تسعة

أشهر بعد المصالحة ، وأمر على جميع آل سعود ، وأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنـائهم أن يرحلوا من الدرعية إلى مصر ، فارتحلوا منها بحريمهم وذراريهم ، وسار كثير من العساكر معهم إلى مصر ، ولم يبقَ منهم إلا من اختفى أو هرب .)

ويقول مؤلف « خلاصة الكلام » إن عدد الذين أرسلهم ابراهيم باشا إلى مصر كان أربعمائة ، يدخل في هذا العدد الحريم والأولاد ، وقد أسكنهم في القشلة التي في الازبكية ، وأما أولاد عبد الله بن سعود وخواصه فأسكنهم بدار عند جامع مسكه ، (وطفقوا يروحون ويجيئون من غير حرج عليهم ، وكانوا يترددون على المشايخ وغـيرهم ويمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات)[1] .

---

(١) في حاشية المحقق علي ابن بشر ان آل الشيخ الذين أبعدوا الى مصر (محدودو العـدد ومشهورو الأسماء ، بل هم قادة الدعوة وزعماء الاصلاح في ذلك الوقت ... وهم : الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وصحبته حرمه ، وابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله ، والشيخ عبدالرحمن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وصحبته حرمه، وابنه الشيخ عبداللطيف...
.. فأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن فمكث في مصر ثمان سنوات ثم رجع الى الرياض بعد ما تولى الامـام تركي بن عبد الله الحكم بسنة واحدة (أي سنة ١٢٤١ هـ.) ، وأمـا ابنه الشيخ عبد اللطيف فبقي بمصر واحداً وثلاثين عاماً ثم رجع الى الرياض في ولاية الامام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٤ هـ .

وأما الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابنه الشيخ عبدالرحمن فإنهما أقاما بمصر وتوفيا بها ...

... وكان الشيخ عبد الله – إلى جانب قيامه بتمام العلم وبثه ونشر مذهب السلف الصالح ودعوة التوحيد – مرجع قضاة البلاد السعودية في عهد الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ثم عهد ابنه الامام سعود وابنه الامام عبد الله بن سعود ، فكان الشيخ عبد الله في ذلك الوقت بمثابة رئيس قضاة ومفتي ، وقـد ألف مؤلفات كثيرة ... وقد صحب الشيخ عبد الله الامام سعود في دخوله مكة سنة ١٢١٨ هـ .

وكان الشيخ عبد الله شجاعاً مقداماً وقف في باب سمحان بالدرعية وشهر سيفه وقاتل قتـال الأبطال قائلاً كلمته الخالدة المشهورة : « بطن الأرض على عز خير من ظاهرها على ذل » .

بقي الشيخ عبد الله محدود الاقامة بمصر حتى توفي بها سنة ١٢٤٣ هـ . وله ذرية موجودون بمصر من سلالة ابنه عبد الرحمن ، وذرية بنجد من سلالة ابنه عبد الرحمن ومن سلالة ابنه علي ..) .

ابراهيم نهب السكان ثم دمر البلد :

ويقول الكابتن (سدلر) إن ابراهيم باشا لم يعلن الأوامر التي أرسلها اليه أبوه بتدمير الدرعية وإبعاد زعمائها إلا بعد أن أخذ من الأهالي أموالاً كثيرة ليبقي على حياتهم ، وهكذا فعل رجاله في سائر بلدان نجـــد .. ولما تمّ له ذلك أمر بتخريب بيوت الدرعية وإحراقها وقطع أشجارها ، وبدأ بتهديم قصر عبد الله ابن سعود ثم المساجد .. وكانوا يجبرون السكان على تخريب البيوت بأيديهم ..

ويقول (سدلر) أيضاً إنه زار الدرعية فوجد أسوارها متهدمة تماماً ، فقد ساواها ابراهيم باشا بالأرض ، وكذلك النخيل والبساتين أصبحت أثراً بعد عين، ولم يشهد رجلاً واحداً يمر بأطلال الدرعية .

وكانت بساتين الدرعية تنتج المشمش والتين والأعناب والرمان والحمضيات الممتازة ، الى جانب تمورها الشهيرة الرائعة . ولم يبق من كل تلك الأشجار إلا بقايا قليلة من الجذوع الميتة ..

ولقد هرب بعض اهالي الدرعية ونجد من مظالم ابراهيم باشا الى الخليج الفارسي ـ العربي ـ والعراق، وإلى أبعد من ذلك، بل وصل بعضهم الى طرابلس الغرب..

وزار سدلر (منفوحة) ، فرآه شيخ عربي عجوز ، فقال له :

(لقد أحياني الله حتى أرى ثلاث عجائب : التركي ، ثم الافرنجي ، في منفوحة .. وهذه المطر تنزل في أواسط الصيف !.)

باعوا الأسرى بيع الرقيق :

ومن أفظع ما ارتكبه عساكر ابراهيم باشا الآثام ما ذكره الجبرتي في أخبار سنة ١٢٣٥ هـ. قال :

(وصل جماعة من عساكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم أسرى من الوهابية نساء وبنات وغلماناً نزلوا عند الهمايل ، وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم ، مع أنهم مسلمون وأحرار !.)

يقتل العربان والامراء .. وينجو من طعنة خنجر :

ويقول ابن بشر ان ابراهيم باشا ، بعد فراغه من تدمير الدرعية ، رحل منها ونزل غدير (الأحور) قرب ضرماء ، ثم راح يتسلى بغزو العربان ونهب ما معهم ، فغزا قبيلة من عنزة وبوادي سبيع ، كما غزا العجمان ، وقتل بعضهم ، وقد طعنه احد العجمان بخنجر طعنة قوية ولكن ابراهيم باشا سلم منها .

ولما دنا موعد رحيل الباشا من نجد وثب عساكره الذين فرقهم في البلدان (على أناس من رؤساء نواحي اهل نجد فقتلوهم .. فوثب الآغا الذي في الجبل ومن معه من العسكر وقتلوا محمد بن عبد المحسن بن علي ، أمير الجبل ، وأخاه علي ، وقتل معهما رجال .

ووثب الآغا الذي في القصيم فقتل عبد الله بن رشيد ، امير عنيزة .

ثم .. اقبل الآغا الذي في حوطة الجنوب المسمى حسين جوخدار ومن معه من العساكر ونزلوا الدلم ، المعروفة في الخرج ، وقتل آل عفيصان ، وهم : فهد ابن سليمان بن عفيصان وأخاه عبد الله ومتعب بن ابراهيم بن سليمان بن عفيصان ، واستأصل جميع خزائنهم وأموالهم .

وقتل ايضاً الشيخ علي بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قتله الترك قرب الدرعية .

عودة ابراهيم باشا الى مصر :

وأخيراً .. رحل ابراهيم باشا من نجد الى الحجاز فأقام فيها مدة وجيزة ثم عاد الى مصر فوصلها في ٩ ديسمبر سنة ١٨١٩ م. الموافق صفر سنة ١٢٣٥ هـ.

ويقول الرافعي ان الباشا انحدر في النيل حتى بلغ الجيزة فقابل (والده في قصر شبرا ، فضمه الى صدره مفتخراً بابنه العظيم ..

ثم دخل ابراهيم القاهرة من باب النصر في اليوم التالي دخول الظافر وشقّ المدينة من باب النصر الى القلعة في موكب مهيب ، واحتشدت الجماهير لمشاهدته وتحيته ، وجاء محمد علي الى المسجد الغورى وشاهد موكب ابنه أثناء مسيره ،

ولما بلغ ابراهيم باشا القلعة استأنف سيره في موكبه الى مصر القديمة وقصد من هناك الى قصره ..

وزينت المدينة ابتهاجاً برجوع القائد الكبير ، وظلت في أفراح وزينات سبعة أيام متواليات، وفي ذلك يقول الجبرتي : « استمرت الزينة والوقود والسهر بالليل وعمل الحراقات وضرب المدافع في كل وقت من القلعة ، والمغاني والملاعب في مجامع النـــاس سبعة ايام بلياليها في مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع الأخطاط ») .

عبد الله بن سعود
ـ كما يصفه ابن بشر ـ

قال ابن بشر :

(كان عبـــد الله ذا سيرة حسنة ، مقيماً للشرائع ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر .

كثير الصمت ، حسن السمت .

باذل العطاء .

ولكن لم يساعده القدر ، وهــذه سنة الله في عباده منذ خلق الخلق حتى لا يبقى إلا وجه ربك ذي الجلال والإكرام .

وكان صالح التدبير في مغازيه ، ثبتاً في مواطن اللقاء .

وهو أثبت من أبيه في مصابرة الأعداء ..

وكانت سيرته في مغــازيه وفي الدرعية في مجالس الدرس وفي قضاء حوائج الناس وغير ذلك على سيرة أبيه ، فأغنى عن إعادتها .) .

وقال عنه أيضاً : (.. قــاد الجيوش شرقاً وغرباً ، وكابد العساكر المصرية حرباً وضرباً ، فتتابعت عليه الحروب والكروب ، فصبر حتى تفرق النـــاس عليه « شعوب » وانتقض نظام الجماعة والائتلاف ، بعد ما قاتل قتــالاً ما قاتله أحد من الأسلاف) .

أمراؤه :

(وكان أمراؤه :

على الأحساء : فهد بن سليمان بن عفيصان .

وعلى القطيف : ابراهيم بن غانم .

وعلى عمان : حسن بن رحمة — وأمير الجيوش في عمان بتّال المطيري ، أخو مطلق .

وعلى وادي الدواسر : قاعد بن ربيع بن زيد الدوسري .

وعلى الوشم : حمد بن يحيى بن غيهب .

وعلى الخرج : عبد الله بن سليمان بن عفيصان .

وعلى المحمل : ساري بن يحيى بن سويلم .

وعلى سدير ومنيخ : عبد الله بن محمد بن معيقل — ثم عزله وجعل مكانه محمد ابن ابراهيم أبا الغنيم .

وعلى ناحية القصيم : حجيلان بن حمد .

وعلى بلد جبل شمر : محمد بن عبد المحسن بن علي .

وباقي النواحي عليها أمراء أبيه ..)

قضاته :

على الدرعية : الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ علي ابن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ عبد الله ، ابن القاضي أحمد الوهيبي .

على الأحساء ونواحيها : عبد الرحمن بن نامي . وعلى القطيف : محمود الفارسي . وعلى الخرج : علي بن حمد بن راشد العريني. وعلى الحوطة والحريق: رشيد السردي. وعلى سدير: ابراهيم بن سيف. وعلى منيخ : عثمان بن عبد الجبار ابن شبانة . وعلى الوشم : عبد العزيز بن عبد الله الحصين . وعلى المحمل : محمد

ابن مقرن العوسجي . وعلى القصيم : عبد العزيز بن سويلم . وعلى شمر : عبدالله ابن سليمان بن عبيد . وعلى عمان : عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين .)

— ابن بشر —

ما كُتب عن عبد الله

قاموس الأعلام :

وفي قاموس الأعلام ، تأليف الشاعر الكبير الاستاذ خير الدين الزركلي :

(عبد الله بن سعود.. من أمراء نجد، وليها بعد وفاة أبيه (سنة ١٢٢٩هـ)، ونازعه اخوه فيصل بن سعود ، فضعفت شوكته ، فحاربته جيوش العثمانيين القادمة من مصر وتغلب عليه قائدها ابراهيم باشا ، فطلب الصلح وأجابه اليه ابراهيم ، واجتمعا فلاطفه ابراهيم وطلب اليه أن يتهيأ للسفر ، فرجع الى معسكره وتجهز في بضعة أيام، وأرسله ابراهيم الى مصر فأكرمه واليها محمد علي باشا ووعده بالتوسط له عند حكومة الاستانة ، فقال : « المقدّر يكون » .

وحُمل الى الاستانة ، ومعه اثنان من رجاله (سري ، وعبد العزيز بن سليمان) ، فطيف بهم في شوارعها ثلاثة ايام متتابعة، وأعدموا في ميدان مسجد أيا صوفيا ، وقطعت رؤوسهم وظلت جثثهم معروضهم بضعة أيام .

وكان عبد الله شجاعاً ، تقياً ، في رأيه ضعف) .

النقد — قول المؤلف ان عبد الله نازعه اخوه فضعفت شوكته فحاربته جيوش العثمانيين قد يوهم أن محاربة العثمانيين له كانت بسبب ضعفه،وهم إنما بدأوا حربهم في زمن ابيه .

وأما اسم (سري) ، فهو من الأخطاء الشائعة .. والعرب لا يسمون (سري) .. إنما اسمه عبد الله ، ولكنه من منطقة (السر) في نجد ، فنسب اليها فقيل : (السري) .

النهضات الحديثة في جزيرة العرب :

وفي كتاب المملكة العربية السعودية ، تأليف الدكتور محمد عبد الله ماضي ، وهو الجزء الاول من سلسلة (النهضات الحديثة في جزيرة العرب) :

(بويع لعبد الله بالإمارة بعد وفاة والده ، في الوقت الذي كان محمد علي باشا يحاربهم فيه بأمر حكومة الخلافة العثمانية ويحاول القضاء على دولتهم ، فكانت مهمة الحكم ليست بالسهلة ، خصوصاً وعبد الله لم تكن له الشخصية ولا الدراية الحربية التي كانت لسعود الكبير ، الأمر الذي كان سبباً في طمع عمه عبد الله بن محمد بن سعود في الحكم ورفعه علم العصيان .. ثم في خروج بعض زعماء القبائل النجدية عليه ..

النقد – لم يذكر المؤلف المصدر الذي أخذ عنه قوله إن عبد الله بن محمد بن سعود رفع علم العصيان على عبد الله .. وأكبر الظن أن (عبد الله) المقصود هو شخص آخر غير عبد الله بن محمد بن سعود ، ولعله عبد الله بن ابراهيم بن حسن ابن مشاري بن سعود ، والله أعلم !

تاريخ نجد ، للألوسي :

وفي تاريخ نجد للألوسي :

(.. خلف سعود بن عبد العزيز : (عبد الله) ، وهو الذي استولى ابراهيم باشا عليه وحبسه ، وذهب به الى مصر ، ثم أرسله الى استانبول أيام السلطان محمود خان ، فأمر بضرب عنقه في ميدان جامع السلطان أبا يزيد بين ملأ من الناس .

وعبد الله هذا ، وان كان قد علم كأسلافه القبائل أحكام الدين وأمر بإقامة الجماعات في الأوقات الخمسة بحيث لا يتخلف احد منهم في بلاد نجد عنها الى عصرنا هذا ، إلا أنه أخطأ في تجاسره على بلاد السلطان ، ولو أنه اكتفى بنجد وما يليه من عمان وجزيرة البحرين وغيرهما لاستقام أمره ، وفاز بثواب تعليم أحكام الدين للقبائل الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .) .

النقد – نقل الحيدري في تاريخه كلمات الألوسي حرفاً حرفاً .. من غير أن يشير الى قائلها ، وموطن الضعف في هذا الكلام أنه ينسب الى عبد الله محاربة

السلطان مع ان الحرب بدأت في زمن والده ، وكان هو مدافعاً ، وطلب السلم غير مرة ..

مجلة المشرق :

وفي مجلة المشرق ، التي يصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت ، نشر لويس شيخو بحثاً تاريخياً بعنوان : « حول جزيرة العرب » جاء فيه :

(قام بأمر النجديين ، بعد سعود ، ابنه البكر عبد الله ، وعكف على مجاراة أبيه والاقتداء بآثاره ، إلا أن الأحوال لم توافقه ، ولا سيما ان إخوته ينازعونه الإمارة فتفرقت كلمتهم وانقسمت القبائل بينهم ، وارتد بعضها عنهم فلحقت بالمصريين ..

أحسّ الأمير عبد الله بحرج مقامه فطلب عقد الصلح مع الدولة العثمانية ، مقراً لدى محمد علي باشا بحكمها عليه ، وكان بين شروط المعاهدة أن تخرج الجيوش المصرية من نجد وأن يذهب الأمير عبد الله الى الآستانة ليقدم خضوعه للسلطان ..

ولما أخلى المصريون جزيرة العرب أخلف الأمير عبد الله وعده بالرحلة الى عاصمة الدولة العثمانية ، وإذ ألحّ عليه محمد علي باشا ليقوم بوعوده وتهدّده باستئناف الحرب أصرّ عبد الله على الإباء وشرع يحصن الدرعية .. فكان نكث الأمير لعهده داعياً لعودة المصريين الى جزيرة العرب) .

النقد – لم يخلِ المصريون جزيرة العرب في زمن عبد الله ، ولم يكن محمد علي مخلصاً بادعائه أنه يستأنف الحرب لأن عبد الله أخلّ بشروط الصلح ، وقد بَيّنّا ذلك في الصفحات السابقة ..

آثار الأدهار :

وفي آثار الأدهار : (عبد الله بن سعود : خلف أباه سنة ١٨١٤ وكان شهماً شجاعاً ، اعتمده أبوه في أيامه وعوّل عليه في صعاب الامور ، وقد فاق أباه في علو الهمة وشدة البأس ، إلا أنه كان أقل عزماً ونظراً منه ..)

نبذة تاريخية عن نجد :

وفي كتاب « نبذة تاريخية عن نجد » :

(.. توفي سعود ، وتولى الأمر بعـده ابنه عبد الله ، وكان رجلاً شجاعاً ، قليل السياسة) .

وصف غوان :

كان عبد الله بن سعود يتفوق على العلماء أنفسهم في الفقه .

كان بليغاً ، وكانت كلماته تقع في القلوب .

كان ذكياً جداً ، ومتواضعاً .

وكان سعود يستشيره وحده ، من بين أولاده .

أعطى سعود كل واحد من أولاده مئة وخمسين فارساً، ولكنه جعل لعبدالله ثلاثمائة ..

وكان عبد الله جميلاً ، لا يقل جمـالاً عن أخيه فيصل – وكان فيصل ُيعدّ أجمل رجل في الدرعية .

كان عبد الله شجاعاً ، ولكن آراءه في الحروب و (استراتيجيتها) كانت آراء ضعيفة ..

وكان ينقصه الحزم في قراراته وتدابيره ..

ومن أخطائه أو عيوبه : انه استكثر من الضرائب ، وأنقص من العطاء ، وفي مصر مثل معروف : (حبيب ماله ، حبيب ما له) ..

لقد كان عند عبد الله عدد من الجنود أكثر ممـــا عند ابراهيم باشا ، ولكن ابراهيم باشا كان اعظم منه موهبة في الحروب ، فغلبه ..

وصف دريو :

امتطى عبد الله وهو في الخامسة من عمره ظهر مهر جموح ، واستطاع أن يروضه ..

وكان ، الى قوته ، شاعراً وفقيهاً .

وكان يأكل على مائدته خمسمائة رجل ..

وكان عنده ألفا جواد عربي أصيل ..
وجمع ثلاثين ألف مقاتل لمحاربة المصريين دفاعاً عن الدين والوطن ..
ولكنه خسر الحرب .. بأخطاء فنية ..) .

وصف مانجان :

(لم يرث عبد الله عن أبيه شيئاً من مزاياه .
لم يكن حليماً ، وكان يعاقب بطيش .
وكان بخيلاً ، لا يعطي من يقوم بخدمات له ما يؤمله ..
كان عبد الله شجاعاً ، ولكن الشجاعة لا تكفي .. وكان تفكيره محدوداً ، وما كان يستمع إلى نصائح أصدقائه المخلصين .
لقد خلف له والده جيشاً قوياً يحتاج إلى قائد ماهر ،ولكنه لم يحسن القيادة.
.. جاء الجيش العثماني إلى بلاد صحراوية محرقة وتكاثرت عليه المتاعب .. وكان عبد الله مطالباً بأن يوحد الناس حوله حتى لا يفيد العدو من الذين يبتعدون عنه فلم يفعل .. وكان مطالباً بأن يهاجم مؤخرة الجيش المصري ويقطع خطوط مواصلاته ويمنع عنه الإمدادات والمؤن ويهاجمه في كل فرصة سانحة – مثلاً خلال حصار الرس ، أو انفجار مستودع البـــارود الخ .. – ولكنه ترك كل ذلك ليحصر نفسه في الدرعية ..) .

الدرعيـــة

– كما يصفها المؤرخ الافرنسي كورانسيز –

قال المؤرخ الإفرنسي كورانسيز ، في كتابه (تاريخ الوهابيين) المطبوع في مطلع القرن التاسع عشر :

« الدرعية ، مدينة بناؤها من حجر ، عرضها نصف فرسخ ، وطولها ثلاثة أضعاف عرضها ، تمتد بين حيين : أحدهما إلى اليسار ، وهو (الطريف) مقر آل سعود ، والثاني إلى الشرق، وهو : (البجيري) مقر آل الشيخ، وفيها ثمانية وعشرون مسجداً ، وثلاثون مدرسة ، ولا توجد في الدرعية حمـــامات ولا (مقاهي) عامة . وفي أسواقها (حوانيت) من القصب ، يمكن نقلها من مكان إلى مكان ..

ويقدرون عدد منازل الدرعية بألفين وخمسمائة دار مبنية بالحجارة والآجر.

ليست الدرعية محصنة ، ولكنها تقع في سفح سلسلة من الجبال العالية ، تمتد من الشمال إلى الجنوب ، وتدعى (طويق) ، والناس يجتازون وادياً في جنوبها ليصلوا منه إلى مناطق نجد الغربية .

يخترق الدرعية واد يدعى (وادي حنيفة) ، وهو جاف في الصيف ، وفي الشتاء يمتلىء بمياه السيول المتحدرة من الجبال المجاورة . وحول الدرعية بساتين تنمو فيها أشجار مثمرة، كالبلح والمشمش والدراق، وفيها أيضاً بطيخ(حبحب) وقمح وشعير وذرة الخ ..) .



الإمام عبد الله بن سعود، بين مرافقيه، وهو يقدم صندوق المجوهرات إلى محمد علي
– عن أنكيري –



ما بقي من الدرعية بعد تدميرها !